الفتور

الفتور

أولاً: الأهداف:

سيكون القارئ بعد الانتهاء من دراسة هذا الفصل بعمق، قادراً على أن:

١. يعرِّف الفتور لغة واصطلاحاً.
٢. يشرح آثار الفتور على العاملين.
٣. يشرح آثار الفتور على العمل الإسلامي.
٤. يفهم طرق علاج الفتور.

ثانياً: المحتوى:

١. معنى الفتور لغة واصطلاحاً.
٢. أسباب الفتور.
٣. آثار الفتور على العاملين.
٤. آثار الفتور على العمل الإسلامي.
٥. علاج الفتور.

الفتور

معناه:

لغة: يطلق الفتور على معنيين:

(أ) الانقطاع بعد الاستمرار، أو السكون بعد الحركة .

(ب) الكسل، أو التراخي، أو التباطؤ، بعد النشاط والجد.

جاء في لسان العرب: ((وفَتَر الشيءُ، والحرُّ، وفلان يفتُر، ويَفْتِرُ فُتُوراً وفُتَاراً : سَكَنَ بعدَ حِدَّةٍ، ولاْنَ بعدَ شِدَّةٍ)) [١].

اصطلاحاً: أما في الاصطلاح فهو داء يمكن أن يصيب بعض العاملين، بل قد يصيبهم بالفعل، أدناه: الكسل، أو التراخي، أو التباطؤ، وأعلاه: الانقطاع أو السكون بعد النشاط الدائب، والحركة المستمرة.

قال تعالى عن الملائكة: ﴿ **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [٢].

أي: ((أنهم في عبادة دائمة ينزهون الله عما لا يليق به، ويُصلُّون، ويذكرون الله ليلَ نهارَ، لا يضعفون ولا يسأمون))[٣].

(١) لسان العرب لابن منظور (٥ / ٤٣) مادة: ((فتر)) .
(٢) سورة الأنبياء: الآيتان (١٩ _ ٢٠).
(٣) صفوة التفاسير للصابوني: (٢ / ٢٥٧_ ٢٥٨) .

أسبابه:

ويمكن أن يدخل الفتور إلى النفس بسبب من الأسباب التالية:

١ – الغلو والتشدد في الدين:

بالانهماك في الطاعات، وحرمان البدن حقه من الراحة والطيبات، فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى الضعف أو السأم والملل، وبالتالي: الانقطاع، والترك، بل ربما أدى إلى سلوك طريق أخرى عكس الطريق التي كان عليها، فينتقل العامل من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسيب، وهذا أمر بدهي، إذ للإنسان طاقة محدودة، فإذا تجاوزها اعتراها الفتور، فيكسل أو ينقطع، ولعل ذلك هو السر في تحذير الإسلام الشديد، ونهيه الصريح عن الغلو، والتنطع، والتشديد، إذ يقول-ﷺ- «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**»[١]، «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[٢] قالها ثلاثاً، يعني: المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

« **لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، وَالدِّيَارات-رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** »[٣] «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ....** »[٤] .

---

(١) أخرجه أحمد .
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه أبو داود.
(٤) أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدين يسر الرقم ٣٨، من حديث أبي هريرة ﷺ وتكملة الحديث: ((....فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ)).

عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -ﷺ- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -ﷺ- في السِّرِّ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، وقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ -ﷺ- وقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: وأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الثالث: وأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ الله -ﷺ- إِلَيْهِمْ فَقَالَ: **«أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا، وكَذَا؟ أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[1]، وعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، فقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: فُلَانَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: **«مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَالله لَا يَمَلُّ الله حَتَّى تَمَلُّوا »**، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاومَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ[2]، **« اكْلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَّ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله، أَدْوَمُه، وَإِنْ قَلَّ »**[3].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كانت مولاة للنبي -ﷺ- تصوم النهار، وتقومُ الليل، فقيل له: إنها تصومُ النهار، وتقومُ الليل، فقال -ﷺ-: **« إن لكل عمل شِرَّة، ولك شِرَّة فَترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل»**[4].

٢- السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات:

فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى السمنة وضخامة البدن، وسيطرة الشهوات، ثم يتلوه

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) أخرجه البزار.

التثاقل، والكسل، والتراخي، إن لم يكن الانقطاع والقعود، ولعل ذلك هو السرُّ في نهي الله ورسوله، فلقد حذر الله من السرف، فقال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[١].

وقال رسول الله -ﷺ-: « **ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه،....** »[٢].

وقد أدرك سلف الأمة ما يصنعه السرف والتوسع في المباحات بصاحبه، فحذروا منه، إذ تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: ((أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم، وجمحت شهواتهم))[٣].

وإذ يقول عمر -رضي الله عنه-: ((إياكم والبِطْنَةَ في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما ؛ فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وإنَّ الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإنَّ الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه))[٤].

وإذ يقول أبو سليمان الداراني: ((من شبع دخل عليه ست آفات: فقدُ حلاوة المناجاة، وتعذُّر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق - لأنه إذا شبع ظنَّ أنَّ الخلق كلهم شباع - وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل))[٥].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣١).
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) أورده المنذري في الترغيب والترهيب .
(٤) أورده علاء الدين في: كنز العمال .
(٥) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين .

٣- مفارقة الجماعة، وإيثار حياة العزلة والتفرد:

ذلك أن الطريق طويلة الأبعاد، متعددة المراحل، كثيرة العقبات، في حاجة إلى تجديد، فإذا سارها المسلم مع الجماعة، وجد نفسه دوماً، متجدد النشاط، قوي الإرادة، صادق العزيمة، أما إذا شذ عن الجماعة وفارقها، فإنه سيفقد من يجدد له نشاطه، ويقوي إرادته، ويحرك همَّته، ويذكره بربه، فيسأم ويمل، وبالتالي يتراخى ويتباطأ، إن لم ينقطع ويقعد.

ولعلَّ هذا بعض السّر في حرص الإسلام وتأكيده وتشديده على الجماعة، وتحذيره من مفارقتها، والشذوذ عنها، إذ يقول الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفرَّقُوا**﴾ (١).

﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ (٢).

﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا** ﴾ (٣).

﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٤).

وإذ يقول النبي ﷺ -: «... عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ »(٥).

«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ »(٦).

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).
(٢) سورة المائدة: الآية (٢).
(٣) سورة الأنفال: الآية (٤٦).
(٤) سورة آل عمران: الآية (١٠٥).
(٥) أخرجه الترمذي.
(٦) أخرجه البخاري.

«آمُرُكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْجِهَادِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا كانت مِيتَتُهُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »[1].

«الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ »[2].

وقد أدرك سلف الأمة ذلك، فلزموا الجماعة، ورغبوا فيها، وأكدوا عليها، يقول علي -رضي الله عنه- ((كدر الجماعة خير من صفو الفرد)).

ويقول عبد الله بن المبارك:

لولا الجماعةُ ما كانت لنا سبل ولكـــان أضعفنا نهبا لأقوانا

٤ - قلة تذكر الموت والدار الآخرة:

فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى فتور الإرادة، وضعف العزيمة، وبطء النشاط والحركة، بل قد يؤدي إلى الوقوف والانقطاع، ولعلنا -في ضوء هذا- نفهم الحكمة من أمره -صلى الله عليه وسلم- بزيارة القبور بعد النهي والتحذير، إذ يقول:

« إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فيها عِبْرَةً »[3]، وفي رواية « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ »[4]. كما تفهم الحكمة من حضه-صلى الله عليه وسلم- على تذكّر الموت، وانتهاء الأجل إذ يقول:

«أيُهَا النَّاس: اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ رَجُل يَـــا رَسُولَ الله: إِنَّا لَنَسْتَحْي

(١) أخرجه أحمد.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه الترمذي.
(٤) أخرجه أحمد.

مِنْ الله تعالى، فقَالَ: مَنْ كان منكم مستحيياً فلا يبيتن ليلةً إلا وأجله بين عينيه، وليحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، والرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَلْيَذْكُرِ المْوْتَ وَالْبِلَى، وليُتْرَكْ زِينَةَ الدُّنْيا»[1].

٥- التقصير في عمل اليوم والليلة:

مثل النوم عن الصلاة المكتوبة بسبب السهر الذي لا مبرر له بعد العشاء، ومثل إهمال بعض النوافل الراتبة، وترك قيام الليل، أو صلاة الضحى، أو تلاوة القرآن، أو الذكر أو الدعاء، أو الاستغفار، أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد، أو عدم حضور الجماعة بدون عذر، فكل ذلك وأمثاله له عقوبات، وأدنى هذه العقوبات: الفتور، بأن يكسل ويتثاقل أو ينقطع ويتوقف.

وقد أشار النبي -ﷺ- في حديثه إلى شيء من هذا، إذ يقول:

«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ: يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَّ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[2].

٦- دخول جوفه شيء محرم أو به شبهة:

إما بسبب تقصيره وعدم إتقانه للعمل اليومي الذي يتعيش منه، وإما بسبب تعامله فيما نسميه شبهة، وإما بسبب غير ذلك، فمثل هذا يعاقب من سيده ومولاه، وأدنى عقاب

(١) أخرجه ابن ماجه.
(٢) متفق عليه.

في الدنيا أن يفتر فيقعد ويرقد عن الطاعات، وأقل عقوبة تناله هي أن يكسل ويتثاقل فلا يجد للقيام لذة، ولا للمناجاة حلاوة.

ولعل هذا هو سر دعوة الإسلام إلى أكل الحلال وتحريه، والابتعاد عن الحرام، وما كانت به أدنى شبهة، إذ يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(١).

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(٣).

وإذ يقول النبي -ﷺ-: «كل جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ- أي من حرام- فالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»، «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا يشتبهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنْ الْإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ، وَالْمَعَاصِي حِمَى اللهِ، مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ »(٤)، « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»، ويربي النبي -ﷺ- المسلمين عملياً على ذلك حين يجد تمرة في الطريق ويرفض أكلها قائلاً: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا»(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٨).

(٢) سورة النحل: الآية (١١٤).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٥١).

(٤) متفق عليه .

(٥) أخرجه البخاري .

وعلى هذا المنهج سار سلف الأمة، فكانوا يفتشون ويتحرون عن كل ما يتعلق بحياتهم من الطعام والشراب واللباس والمركب .... الخ وإذا وجدوا شيئاً شابته شائبة أو أدنى شبهة اجتنبوه، مخافة أن يجرهم إلى الحرام، فتفسد قلوبهم، فيحرموا العمل أو يحرموا قبوله.

عن عائشة - رضي الله تعالى عنها- قالت: ((كان لأبى بكر الصديق -رضي الله عنه- غلام يخرج له الخراج، فجاء في يوم بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر وما هو؟؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنى خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء أكله))[1].

٧- اقتصار العامل على جانب واحد من جوانب الدين:

كأن يجعل همه العقيدة فحسب، ملغياً كل شيء غيرها من حسابه، أو يجعل همه الشعائر التعبدية، تاركاً كل ما سواها، أو يقتصر على فعل الخيرات ورعاية الآداب الاجتماعية، غاضاً الطرف عما عداها فكل هؤلاء وأمثالهم تأتي عليهم أوقات يصابون فيها لا محالة بالفتور، وهذا أمر بدهي، لأن دين الله موضوع لاستيعاب الحياة كلها، فإذا اقتصر واحد من الناس على بعضه فكأنما أراد أن يحيا بعض الحياة، لا كل الحياة، ثم إذا بلغ الذروة في هذا البعض يتساءل: وماذا بعد؟ فلا يجد جواباً سوى الفتور إما عجزاً وإما كسلاً.

ولعل ذلك هو أحد أسرار الدعوة إلى أخذ منهج الله كلاً بلا تبعيض، ولا تجزيء:

(١) أخرجه البخاري.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١)، أي اعملوا بجميع شعب الإيمان، وشرائع الإسلام، ولا تسيروا خلف الشيطان، لما يكنه لكم من العداوة و البغضاء فيصرفكم عن منهج الله بالكلية، أو عن بعضه فتفتروا وتضيعوا ....

٨- الغفلة عن سنن الله في الكون و الحياة:

فإننا نرى صنفاً من العاملين لدين الله يريد أن يغير المجتمع كله - أفكاره ومشاعره، وتقاليده وأخلاقه وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في يوم وليلة بأساليب ووسائل هي إلى الوهم والخيال أقرب منها إلى الحقيقة والواقع، مع شجاعة وجرأة وفدائية، لا تستكثر تضحية وإن غلت، ولا تعبأ بالموت سعت إليه أو سعى إليها، ولا تهتم بالنتائج أياً كانت، ما دامت نيتها لله، وما دام هدفها إعلاء كلمة الله، غير واضعين في حسابهم سنن الله في الكون والحياة: من ضرورة التدرج في العمل، ومن أن الغلبة إنما تكون للأتقى، فإذا لم يكن فللأقوى، ومن أن لكل شيء أجلا مسمى لا يقدم ولا يؤخر.... الخ فإذا ما نزلوا إلى أرض الواقع، وكان غير ما أملوا، وما أرادوا وما عملوا، فتروا عن العمل إما كسلاً وتوانياً وتراخياً، وإما قعوداً وانسلاخاً وتركاً.

٩-التقصير في حق البدن بسبب ضخامة الأعباء وكثرة الواجبات وقلة العاملين:

ذلك أننا نجد بعض العاملين ينفقون كل ما يملكون من جهد ووقت وطاقة في سبيل خدمة هذا الدين، ضانين على أنفسهم بقليل الراحة والترويح فهؤلاء وأمثالهم، وإن

(١) سورة البقرة: الآية (٢٠٨).

كانوا معذورين بسبب ضخامة الأعباء، وكثرة الواجبات وقلة العاملين، إلا أنه تأتى عليهم أوقات يفترون عن العمل لا محالة .

ولعل هذا هو سر تأكيده -ﷺ- على حق البدن مهما تكن الأعذار والمبررات إذ يقول: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِن لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» وفي رواية أخرى: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا »(١).

١٠ - عدم الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق:

ذلك أننا نجد بعض العاملين يبدؤون السير في الطريق دون أن يقفوا على معوقاته، من زوجة أو ولد، أو إقبال دنيا، أو امتحان، أو ابتلاء، أو نحو ذلك، وبالتالي لا يأخذون أهبتهم، ولا استعدادهم، وقد يحدث أن يصدموا أثناء السير بهذه المعوقات، أو ببعضها، فإذا هم يعجزون عن مواجهتها، فيفترون عن العمل إما كسلاً وتراخياً، وإما وقوفاً وانقطاعاً.

وهذا سر تنبيه القرآن الكريم، وتحذيراته المتكررة من معوقات الطريق إذ يقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾(٢). ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾(٣). ﴿ **مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا**

(١) أخرجه البخاري .
(٢) سورة التغابن: الآيتان (١٤ _ ١٥).
(٣) سورة الأنفال: الآية (٢٨).

أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[١]. ﴿ الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[٢]. ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[٣].

١١-صحبة ذوي الإرادات الضعيفة و الهمم الدانية:

فقد يحدث أن يصحب العامل نفراً ممن لهم ذيوع و شهرة، وحين يقترب منهم ويعايشهم يراهم خاوين فاترين في العمل، كالطبل الأجوف، فإن مضى معهم عدوه - كما يعدي الصحيحَ الأجربُ- بالفتور والكسل.

وهذا هو سر تأكيده -ﷺ- على ضرورة انتقاء واصطفاء الصاحب، إذ يقول: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[٤]، «**إنما مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا منتنه**»[٥].

١٢- العفوية في العمل سواء على المستوى الفردي أو الجماعي:

ذلك أن كثيراً من العاملين أفراداً كانوا أو جماعات يمارسون العمل لدين الله بصورة عفوية لا تتبع منهجاً، ولا تعرف نظاماً، فيقدمون الأمور الثانوية التي ليست بذات بال

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٧٩).
(٢) سورة العنكبوت: الآيات (١ _ ٣).
(٣) سورة محمد: الآية (٣١).
(٤) أخرجه أبو داود .
(٥) متفق عليه .

ويؤخرون بل ويهملون الأمور الرئيسة التي لابد منها من أجل التمكين لدين الله، وهذا يؤدي إلى أن تطول الطريق وتكثر التكاليف والتضحيات، فيكون الفتور غالباً إن لم تتدخل يد الله بالرعاية و التأييد و الثبات.

ولعلنا في ضوء هذا نفهم سر وصيته -ﷺ- لِمُعَاذ لَمَّا وجَّههُ إلى اليمن إذ قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ،فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**»[1].

إن هذا الحديث قاعدة رئيسة في منهجية العمل، وترتيبه ودقته.

١٣ - الوقوع في المعاصي والسيئات ولاسيما صغائر الذنوب مع الاستهانة بها:

فإن ذلك ينتهي بالعامل لا محالة إلى الفتور، وصدق الله الذي يقول:

﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾[2]، وصدق رسول الله-ﷺ-الذي يقول: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»، وَإِنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجَّجُوا

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الشورى: الآية (٣٠).

نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا»(١)، « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذنباً نكت فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذا تَابَ، وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وإِنْ زَادَ زَادَتْ حتى تعلو قلبه، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ الله فِي كِتَابِهِ- عز وجلّ- ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾»(٢).

تلك هي الأسباب التي توقع في الفتور غالباً.

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه أحمد وأصحاب السنن .

آثــــــاره:

وللفتور آثار ضارة، ومهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي:

على العاملين: فمن آثاره على العاملين قلة رصيدهم -على الأقل- من الطاعات، وربما قبض أحدهم وهو فاتر كسلان، فيلقى الله مقصراً مفرطاً، لذا كان من دعائه -ﷺ-: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»**[١].

«اللهم اجعل خير عمري آخره اللهم اجعل خواتيم عملي رضوانك، اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك »[٢] ...«... اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه»[٣].

وكان من بشرياته لأمته:

«إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه ابن السني عن أنس وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد١١٠/١٠، وعقب عليه بقوله: ((رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو مالك النخعي وهو ضعيف)) .

(٣) أورده الهيثمى في مجمع الزوائد ١٥٧/١٠ من حديث أنس، وعقب عليه بقوله: (رواه الطبرانى في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمى، وهو ثقة).

(٤) أخرجه الترمذي .

وكان من تحذيره لها: « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»[١]. «**لا تعجبوا لعمل عامل حتى تنظروا بم يختم له**»[٢].

وكان من تأثر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لما مرض مرض الموت إذ ورد في الأثر: أنه لما مرض بكى فقال: ((إنما أبكي لأنه أصابني على حال فترة، ولم يصبني على حال اجتهاد))[٣]. ويقصد أن المرض أصابه وهو في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات.

على العمل الإسلامي:

ومن آثاره على العمل الإسلامي طول الطريق، وكثرة التكاليف والتضحيات، إذ مضت سننه سبحانه: ألا يعطي النصر والتمكين للكسالى والغافلين والمنقطعين، وإنما المجاهدين الذين أتقنوا العمل، وأحسنوا الجهاد: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾[٤] .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾[٥].

﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري .
(٢) أخرجه أحمد .
(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.
(٤) سورة الكهف: الآية (٣٠).
(٥) سورة النحل: الآية (١٢٨).
(٦) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).

علاجه:

ولما كان الفتور يؤدي إلى الآثار والمخاطر التي ذكرنا لزم التحرز والتطهر منه ويستطيع العاملون التحرز والتطهر منه على النحو الآتي:

١- **البعد عن المعاصي والسيئات كبيرها وصغيرها،** فإنها نار تحرق القلوب، وتستوجب غضب الله، ومن غضب عليه ربه فقد خسر خسراناً مبيناً: ﴿ **وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾[١].

٢- **المواظبة على عمل اليوم والليلة:** من ذكر ودعاء وضراعة، واستغفار، وقراءة قرآن، وصلاة ضحى، وقيام ليل، ومناجاة ولاسيما في وقت السحر، فإن ذلك كله مولد إيماني جيد، ينشط النفوس ويحركها ويعلي الهمم، ويقوي العزائم، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً** ﴾[٢].

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾[٣].

وقال النبي -ﷺ-: « **مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنْ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ ما بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ اللَّيْلِ** »[٤].

---

(١) سورة طه: الآية (٨١).
(٢) سورة الفرقان: الآية (٦٢).
(٣) سورة المزمل: الآيات (١ _ ٥).
(٤) أخرجه مسلم.

٣- ترصد الأوقات الفاضلة والعمل على إحيائها بالطاعات، فإن هذا مما ينشط النفوس، ويقوى الإرادات يقول -ﷺ-: « ..... **فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**»[١].

٤- التحرر من التشدد والغلو في دين الله، فإن ذلك مما ينشط ويساعد على الاستمرار، عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: كان لرسول الله -ﷺ- حصير، وكان يحجره[٢] من الليل فيصلى فيه فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار فثابوا[٣] ذات ليلة فقال: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ: عَلَيْكُمْ مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ**»، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ -ﷺ- إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ[٤].

ولا جرم أن نشير هنا إلى أن التحرر من التشدد والغلو لا يعنى الترك والإهمال، بل يعنى الاقتصاد والتوسط مع المحافظة عل ما اعتاده من العمل، ومع اتباع السنة، قال عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما- - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «**يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**»[٥]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «... **فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أي يتخذه حجرة.
(٣) أي اجتمعوا للصلاة.
(٤) أخرجه مسلم.
(٥) متفق عليه.
(٦) متفق عليه.

٥- **دفن النفس في أحضان الجماعة،** وعدم اعتزالها أو الشذوذ عنها بحال من الأحوال، وحسبنا قوله-ﷺ-: « **الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[١]، «**يَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ** »[٢]، وقول علي -رضي الله عنه- المذكور آنفاً: ((كدر الجماعة خير من صفو الفرد)).

٦- **الانتباه إلى سنن الله في الإنسان والكون:** ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾[٣]. من استفراغ الطاقة وبذل الجهد الإنساني أولاً ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾[٤]، ومن التدرج في العمل، كما قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله تعالى عنها- ((إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام، ولو نزل أول شيء، لا تشربوا الخمر، ولا تزنوا لقالوا: لا ندع الخمر ولا الزنى أبداً))[٥]، وكما عبر عنه عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- خامس الخلفاء الراشدين، فقد أراد أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الأربعة، لكن بعد أن يتمكن ويمسك الخيوط في يديه، وكان له ابن يقال له عبد الملك، فيه فتوة وحماس وحيوية وتقى، فأنكر على أبيه البطء، وعدم الإسراع في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم، حتى تعود الحياة سيرتها الأولى أيام الراشدين، إذ قال له يوماً: ((ما لك يا أبت لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي، لو أن القدور غلت بي وبك في الحق)).

(١) أخرجه أحمد .
(٢) أخرجه الترمذي .
(٣) سورة فاطر: الآية (٤٣).
(٤) سورة محمد: الآية (٤).
(٥) أخرجه البخاري.

فكان جواب الأب الفقيه: ((لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة فيكون من ذا فتنة))[1]... الخ

٧- **الوقوف على معوقات الطريق من أول يوم في العمل**: حتى تكون الأهبة، ويكون الاستعداد لمواجهتها والغلب عليها فلا يبقى مجال لفتور أو انقطاع .

٨- **الدقة و المنهجية في العمل** على معنى مراعاة الأولويات وتقديم الأهم، وعدم الدخول في معارك جانبية، أو مسائل جزئية هامشية.

٩- **صحبة الصالحين المجاهدين من عباد الله**: إذ أن هؤلاء لهم من الصفاء النفسي والإشراق القلبي، والإشعاع الروحي، ما يسبي، ويجذب بل ما يحرك الهمم والعزائم، ويقوي الإرادات، وقد لفت النبي -ﷺ- الأنظار إلى ذلك حين قال: «ألا أخبركم بخير الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من تذكركم رؤيته بالله عز وجل»[2].

١٠- **إعطاء البدن حقه من الراحة و الطعام و الشراب مع الاعتدال في ذلك،** فإن هذا مما يجدد نشاط الجسم ويعيد إليه قوته وحيويته .

وقد أرشد النبي -ﷺ- العاملين إلى ذلك، فقد دَخَلَ مرة المسجد فرأى حَبْلاً مَمْدُوداً بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟"قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ به،

---

(١) الموافقات للشاطبي.
(٢) أخرجه ابن ماجه .

فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ** »[1]، وقال أيضاً: «**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ -وَهُوَ يُصَلِّي- فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**»[2].

١١- الترفيه عن النفس بالمباحات، من مداعبة الأهل، أو ملاعبة الأولاد، أو القيام ببعض الرحلات النهرية للتجديف، أو القمرية للرياضة، والتدبر والتفكر، أو الجبلية للصعود والتسلق، أو الصحراوية للتمرس والتعود على مواجهة مشاق الحياة، أو الحقلية أو غير ذلك، فإن هذا مما يطرد السأم والملل، ويقضى على الفتور والكسل، بحيث يعود المسلم إلى ممارسة نشاطه، وكأنما ولد من جديد، أو صار خلقاً آخر.

عَنْ أَبِي ربعي حَنْظَلَةَ بن الربيع الْأُسَيِّدِيِّ الكاتب، أحد كُتَّابِ رَسُولِ الله -ﷺ- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه- فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله -ﷺ- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله -ﷺ-عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه-: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله -ﷺ-قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «وَمَا ذَاكَ؟"قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .

الله -ﷺ-: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**»(١) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

١٢- دوام النظر والمطالعة في كتب السيرة والتاريخ والتراجم، فإنها مشحونة بكثير من أخبار العاملين المجاهدين، أصحاب العزائم القوية والإرادات الصادقة التي تسري عن النفس، وتسليها وتولد فيها حب الاقتداء والتأسي وصدق الله -سبحانه وتعالى- الذي يقول:

﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾(٢).

وعلى سبيل المثال حين يقرأ المسلم عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا فتر في الوقت من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وارتفاعها قليلاً أخذ يدور في صحن بيته، ويردد على نفسه:

وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في أي المحلين تنزل

حين يقرأ المسلم ذلك تتحرك مشاعره وأحاسيسه فينشط ويجاهد نفسه ليكون ضمن قافلة العاملين المجاهدين.

١٣- تذكر الموت وما بعده من سؤال القبر وظلمته ووحشته، والبعث والحشر... الخ فإن هذا مما يوقظ النفس من نومها، ويوقفها من رقدتها، وينبهها من

(١) أخرجه مسلم.
(٢) سورة يوسف: الآية (١١١).

غفلتها، فتنشط وتتابع السير، وخير وسيلة لتذكر الموت الذهاب إلى القبور -ولو مرة كل أسبوع- وزيارتها للاعتبار بأحوال أهلها: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا فَإِنَّ فيها عِبْرَةً**»(١).

وجاء عن ابن السماك الواعظ: أنه كان قد حفر حفرة في بيته كأنها قبر، وكلما أحس من نفسه فتوراً أو كسلاً، نزل إلى هذه الحفرة واستلقى كأنما قد مات، ثم يتخيل أنه قد سئل، وأن أعماله قد قصرت به، ويأخذ في الاستغاثة و الصراخ وطلب العودة قائلاً:

﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ....**﴾.

وبعد طول استغاثة وطلب يجيب نفسه، ها أنت يا ابن السماك قد أعطيت فرصة أخرى، ثم يقوم من قبره، وكأنما نشط من عقال.

١٤- تذكر الجنة و النار، وما فيهما من النعيم و العذاب، فإن ذلك مما يذهب النوم عن الجفون، ويحرك الهمم الساكنة و العزائم الفاترة، جاء عن ابن هرم بن حيان أنه كان يخرج في بعض الليالي، وينادي بأعلى صوته: ((عجبت من الجنة كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف نام هاربها، ثم يقول: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾))(٢).

١٥- حضور مجالس العلم، إذ العلم حياة القلوب وربما سمع العامل كلمة من عالم صادق مخلص، فنشطته سنة كاملة، بل الدهر كله وصدق الله الذي يقول:

(١) أخرجه الترمذي.
(٢) التخويف بالنار لابن رجب.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1]. ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[2].

١٦– أخذ هذا الدين بعمومه وشموله، دون التخلي عن شيء منه، فإن ذلك يضمن الدوام والاستمرار، حتى تنقضي الحياة ونلقى الله.

١٧– محاسبة النفس و التفتيش فيها دائماً، فإن ذلك مما يبصر بالعيوب في بدايتها، فتسهل معالجتها:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة فاطر: الآية (٢٨).

(٢) سورة طه: الآية (١١٤).

(٣) سورة الحشر: الآية (١٨).

الإعجاب بالنفس

الإعجاب بالنفس

أولاً: الأهداف:

سيكون القارئ بعد الانتهاء من دراسة هذا الفصل بعمق، قادراً على:

١. أن يعرِّف الإعجاب بالنفس لغة واصطلاحاً.
٢. أن يشرح أسباب الإعجاب بالنفس.
٣. أن يوضح آثار الإعجاب بالنفس على العاملين.
٤. أن يوضح آثار الإعجاب بالنفس على العمل الإسلامي.
٥. أن يعدد مظاهر الإعجاب بالنفس.
٦. أن يفهم طرق علاج الإعجاب بالنفس.

ثانياً: المحتوى:

١. معنى الإعجاب بالنفس لغة واصطلاحاً.
٢. أسباب الإعجاب بالنفس.
٣. آثار الإعجاب بالنفس على العاملين.
٤. آثار الإعجاب بالنفس على العمل الإسلامي.
٥. طرق علاج الإعجاب بالنفس.

الإعجاب بالنفس

والآفة الثانية التي يصاب بها بعض العاملين وعليهم أن يعملوا جاهدين على مداواة أنفسهم وتحريرها بل والاحتراز والتوقي منها: هي الإعجاب بالنفس.

ولكي يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد محدد المعالم سنجعله يدور على النحو التالي:

أولاً: معنى الإعجاب بالنفس:

لغة: يطلق الإعجاب بالنفس في اللغة ويراد به:

(أ) السرور والاستحسان تقول: أعجبه الأمر: سره وأعجب به: سر به[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿..وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ..﴾[2].

﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ.. ﴾[3].

﴿ ..كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً.. ﴾[4].

(ب) الزهو أو الإعظام والإكبار تقول: أعجبه الأمر أي زها به، وعظم عنده وكبر لديه، ورجل معجب أي مزهو أو معظم ومكبر لما يكون منه حسنا أو قبيحا[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿.. وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً..﴾[6].

---

(١) أنظر لسان العرب لابن منظور ٨٥١/١ مادة((عجب)).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢١).
(٣) سورة المائدة: الآية (١٠٠).
(٤) سورة الحديد: الآية (٢٠).
(٥) أنظر لسان العرب ٥٨٢/١ مادة ((عجب)).
(٦) سورة التوبة: الآية (٢٥).

اصطلاحا: أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين، فإن الإعجاب بالنفس هو: السرور أو الفرح بالنفس، وبما يصدر عنها من أقوال أو أعمال من غير تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس، سواء أكانت هذه الأقوال، وتلك الأعمال خيراً أو شراً، محمودة أو غير محمودة. فإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس، باحتقار واستصغار ما يصدر عنهم، فهو الغرور أو شدة الإعجاب، وإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس باحتقارهم في أشخاصهم، وذواتهم، والترفع عليهم، فهو التكبر أو شدة الإعجاب[1].

ثانياً: أسباب الإعجاب بالنفس

للإعجاب بالنفس أسباب تؤدي إليه، وبواعث توقع فيه نذكر منها:

١- النشأة الأولى:

فقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس هي النشأة الأولى.

ذلك أن الإنسان قد ينشأ بين أبوين يلمس منهما أو من أحدهما حب المحمدة، ودوام تزكية النفس، إن حقاً وإن باطلاً، والاستعصاء على النصح والإرشاد، ونحو ذلك من مظاهر الإعجاب بالنفس فيحاكيهما.

وبمرور الزمن يتأثر بهما ويصبح الإعجاب بالنفس جزءاً من شخصيته إلا من رحم الله.

ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على التزام الأبوين بمنهج الله على النحو الذي قدمناه في ((آفة الإسراف)).

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين ص ٢٤٧ - ٢٤٨ بتصرف.

إذ منهج الله وحده هو الذي يحمى الأبوين من أي انحراف، وبذلك يصلحان أن يكونا قدوة للأولاد.

٢- الإطراء والمدح في الوجه دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هو الإطراء والمدح في الوجه، دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك:

ذلك أن هناك فريقا من الناس إذا أطري أو مُدح في وجهة دون تقيد بالآداب الشرعية في هذا الإطراء، وذلك المدح، اعتراه أو ساوره -لجهله بمكائد الشيطان- خاطر: أنه ما مدح وما أطري إلا لأنه يملك من المواهب ما ليس لغيره، وما يزال هذا الخاطر يلاحقه، ويلح عليه حتى يصاب -والعياذ بالله- بالإعجاب بالنفس، ولعل ذلك هو السر في ذمه -ﷺ- للثناء والمدح في الوجه، بل وتأكيده على ضرورة مراعاة الآداب الشرعية إن كان ولابد من ذلك[1].

(١) الآداب الشرعية المتعلقة بالإطراء و المدح كما استنبطها العلماء من الكتاب و السنة ثلاثة :الأول: ألا يكون في المدح إفراط أو مجاوزة للحد، الثاني: أن يكون بالحق لا بالباطل، الثالث: وألا يكون مع من يخشى عليه الفتنة من إعجاب وغيره فإذا توافرت هذه الآداب جاز المدح، بل قد يصير مستحباً إذا كانت من ورائه مصلحة أو منفعة كالتنشيط لفعل الخير، أو الزيادة منه أو الاستمرار عليه، أو الإقتداء و التأسي ونحو ذلك، انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ١٢٦/١٨ بتصرف انظر.

جاء عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ أنه قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنْ الْأُمَرَاءِ، فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ بن الأسود يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ في وجهه، وَقَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ-ﷺ- أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»[1].

وجاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ: **«وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، -مِرَارًا- إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ -إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ- كَذَا وَكَذَا»**[2].

٣-صحبة نفر من ذوى الإعجاب بأنفسهم:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس هي الصحبة والملازمة لنفر من ذوى الإعجاب بأنفسهم.

ذلك أن الإنسان شديد المحاكاة والتأثر بصاحبه، لا سيما إذا كان هذا الصاحب قوي الشخصية، ذا خبرة ودارية بالحياة، وكان المصحوب غافلا على سجيته، يتأثر بكل ما يلقى عليه، فإذا كان الصاحب مصابا بداء الإعجاب، فإن عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله، ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على ضرورة انتقاء واختيار الصاحب لتكون

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح٤/٢٢٩٧ رقم ٣٠٠٢ من حديث المقداد بن الأسود مرفوعاً به.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب باب ما يكره من التمادح ٢٢/٨، ومسلم في الصحيح: كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح٤/٢٢٩٦ رقم ٣٠٠٠ كلاهما من حديث خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه مرفوعاً واللفظ لمسلم.

الثمرة طيبة، والعواقب حميدة، وقد قدمنا طرفا من النصوص الشرعية المتعلقة بذلك أثناء الحديث عن آفة ((الفتور)).

٤ - الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم:

وقد يكون السبب في الإعجاب: هو الوقوف عند النعمة، ونسيان المنعم ذلك أن هناك صنفا في العاملين، إذا حباه الله نعمة من مال أو علم أو قوة أو جاه أو نحوه، وقف عند النعمة، ونسي المنعم، وتحت تأثير بريق النعمة وسلطانها، تحدثه نفسه أنه ما أصابته هذه النعمة إلا لما لديه من مواهب وإمكانات، على حد قول قارون: ﴿.. **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**..﴾[١]. ولا يزال هذا الحديث يلح عليه حتى يرى أنه بلـغ الغاية أو المنتهى، ويسر ويفـرح بنفسه وبما يصدر عنها، ولو كان باطلا، وذلك هو الإعجاب بالنفس.

ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على أن مصدر النعمة أي نعمة إنما هو الله عز وجل: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**..﴾[٢]، ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٣] ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**..﴾[٤]. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم**..﴾[٥]، بل، وعلى المسلم أن يناجي ربه كل صباح ومساء قائلا ثلاث مرات:

(١) سورة القصص: الآية (٧٨).
(٢) سورة النحل: الآية (٥٣).
(٣) سورة النحل: الآية (٧٨).
(٤) سورة لقمان: الآية (٢٠).
(٥) سورة فاطر: الآية (٣).

((اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أو بأحد من خلقك، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ))[1].

٥- الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس هي الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية: ذلك أن ظروف العمل الإسلامي قد تفرض أن يتصدر بعض العاملين للعمل قبل أن يستوي عودهم، وقبل أن تكتمل شخصيتهم، وحينئذ يأتي الشيطان فيلقي في روعهم أنهم ما تصدروا للعمل، وما وضعوا في الموقع الذي هم فيه الآن إلا لما يحملون من مؤهلات وما لديهم من مواهب وإمكانات، وقد ينطلي عليهم -لجهلهم بمكائد الشيطان وحيله- مثل هذا الإلقاء، فيصورونه حقيقة، ويرفعون من قدر نفوسهم فوق ما تستحق حتى يكون الإعجاب بها -والعياذ بالله........

ولعل هذا هو سر حرص الإسلام على الفقه، وعلى أن يكون هذا الفقه قبل الصدارة أو القيادة، إذ يقول الله تعالى: **﴿..فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**[2].

﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً..﴾[3].

(١) المناجاة أو الدعاء جاء فيه حديث أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح ٣١٨/٤ رقم ٥٠٧٣ من حديث عبد الله بن غنام البياضى أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمن وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته))، وإذ يقول بشر بن جحاش القرشي، إن رسول الله بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال: قال الله تعالى: ((يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد فجمعت أو منعت، حتى إذا بلغت التراق قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند.

(٢) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

وإذا يقول النبي -ﷺ-: «مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[1].

وإذ يقول عمر-رضي الله عنه-: ((تفقهوا قبل أن تسودوا)) يعني: تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة، أو أصحاب مسئولية، لتدركوا ما في السيادة أو ما في المسئولية من آفات فتتقوها.

٦- الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، هي الغفلة والجهل بحقيقة النفس: ذلك أن الإنسان إذا غفل أو جهل حقيقة نفسه، وأنها من ماء مهين خرج من مخرج البول، وأن النقص دائماً طبيعتها وسمتها، وأن مردها أن تلقى في التراب، فتصير جيفة منتنة، تنفر من رائحتها جميع الكائنات، إذا غفل الإنسان أو جهل ذلك كله ربما خطر بباله أنه شيء، ويقوي الشيطان فيه هذا الخاطر حتى يصير معجباً بنفسه.

ولعل هذا هو السر في حديث القرآن والسنة المتكرر عن حقيقة النفس الإنسانية بدءاً، ونهاية.

إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ**﴾[2]، ﴿**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ**﴾[3]، ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**﴾[4].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ٢٧/١-٢٨ وكتاب فرض الخمس: باب قول الله تعالى فأن لله خمسه ١٠٣/٤ وكتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب قول النبي ـﷺ ـ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ١٢٥/٩ ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة: باب قوله ـﷺ ـ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ١٥٢٤/٣ رقم ١٧٥ وكتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ٧١٨/٢ رقم ١٠٣٧ كلاهما من حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً به.

(٢) سورة السجدة: الآيتان (٧_٨).

(٣) سورة المرسلات: الآية (٢٠).

(٤) سورة عبس: الآية (٢١).

٧- عراقة النسب أو شرف الأصل:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، هي عراقة النسب، أو شرف الأصل، ذلك أن بعض العاملين قد يكون سليل بيت عريق النسب، أو شريف الأصل، وربما حمله ذلك على استحسان نفسه وما يصدر عنها، ناسياً أو متناسياً أن النسب أو الأصل لا يقدم ولا يؤخر، بل المعول عليه إنما هو العمل المقرون بالجهد والعرق، وهكذا تنتهي به عراقة نسبه أو شرف أصله إلى الإعجاب بنفسه، ولعل ذلك هو سر تأكيد الإسلام على العمل والعمل وحده:

إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ** ﴾(١)، ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً** ﴾(٢).

وإذ يقول النبي -ﷺ- لما أُنزِلَ عَلَيْهِ: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾(٣)،«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ الله، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ الله شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ الله شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (١٠١).
(٢) سورة النساء: الآيتان (١٢٣_١٢٤).
(٣) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

عَمَّةَ رَسُولِ الله لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ الله شَيْئًا يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ الله سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ الله شَيْئًا »[١].

٨- الإفراط أو المبالغة في التوقير والاحترام:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، هو الإفراط أو المبالغة في التوقير والاحترام، ذلك أن بعض العاملين قد يحظى من الآخرين بتوقير واحترام فيهما مبالغة أو إفراط يتعارض مع هدي الإسلام، ويأباها شرع الله الحنيف، كدوام الوقوف طالما أنه قائم أو قاعد، وكتقبيل يده والانحناء له والسير خلفه ... الخ .

وإزاء هذا السلوك قد تحدثه نفسه أنه ما حظي بهذا التوقير والاحترام إلا لأن لديه من المواهب، والخصائص ما ليس لغيره، ويظل هذا الحديث يقوى ويشتد إلى أن يكون الإعجاب بالنفس -والعياذ بالله- ولعل هذا هو سر نهيه -ﷺ- أصحابه: أن يقوموا له، وأن يعظموه كما يعظم الأعاجم ملوكهم فيقول -ﷺ-: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتمْثُلَ لَهُ الناس فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»[٢].

ويخرج -ﷺ- إلى أصحابه يوماً متوكئاً على عصا فيقومون له فيقول: « **لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمِ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضاً**»[٣].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير: سورة الشعراء ١٤٠/٦، ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ١٩٢/١-١٩٣ كلاهما من حديث أبى هريرة _ﷺ_ مرفوعاً، واللفظ لمسلم.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب: باب في قيام الرجل للرجل ٣٥٨/٤ رقم ٥٢٢٩ من حديث معاوية مرفوعا به.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب: باب في قيام الرجل للرجل ٣٥٨/٤ رقم ٥٢٣٠ من حديث أبى أمامة مرفوعا به.

٩- الإفراط أو المبالغة في الانقياد، والطاعة:

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس هو الإفراط أو المبالغة في الانقياد، والطاعة، ذلك أن بعض العاملين قد يلقى من الآخرين انقياداً وطاعة فيهما إفراط أو مبالغة لا تتفق ومنهج الله، كأن يكون هذا الانقياد وهذه الطاعة في كل شيء سواء كان معروفاً أو منكراً، خيراً أو شراً .

وتبعاً لذلك قد تسول له نفسه أنه ما كان الانقياد، وما كانت الطاعة إلا لأنه يملك من الخصائص، والمزايا ما لا يملك غيره، وربما صدق فكان الإعجاب بالنفس.

ولعل ذلك هو بعض السر في تأكيد الإسلام على أن يكون الانقياد والطاعة في المعروف، وليس في المعصية.

يقول-ﷺ-: **«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»**(١).

١٠- الغفلة عن الآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس:

وأخيراً قد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، هي الغفلة عن الآثار والعواقب، ذلك أن سلوك الإنسان في الحياة غالباً ما يكون نابعاً من إدراكه أو عدم إدراكه لعواقب وآثار هذا السلوك.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٩/٣ رقم ١٨٣٩ من حديث ابن عمر مرفوعاً به.

وعليه فإن العامل أو الداعية إذا لم يدرك العواقب المترتبة على الإعجاب بالنفس فإنه قد يصاب به، ولا يراه إلا أمراً بسيطاً هيناً، لا يحتاج منه أن يقف عنده، أو أن يضيع فيه وقته.

ولعل ذلك هو السر في حرص هذا الدين على عرض مبادئه ومقاصده مقرونة بآثارها وعواقبها.

ثالثاً: آثار الإعجاب بالنفس:

هذا وللإعجاب بالنفس آثار سيئة، وعواقب وخيمة، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، ودونك طرفاً من هذه الآثار، وتلك العواقب على العاملين.

فمن آثاره على العاملين:

١ - الوقوع في شراك الغرور بل والتكبر:

أي أن الأثر الأول للإعجاب بالنفس، هو الوقوع في شراك الغرور بل والتكبر؛ ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما يؤدي به الإعجاب إلى أن يهمل نفسه، ويلغيها من التفتيش والمحاسبة، وبمرور الزمن يستفحل الداء، ويتحول إلى احتقار واستصغار ما يصدر عن الآخرين، وذلك هو الغرور، أو يتحول إلى الترفع عن الآخرين، واحتقارهم في ذواتهم وأشخاصهم وذلك هو التكبر.

وللغرور والتكبر آثارهما الخطيرة، وعواقبهما المهلكة التي سنقف عليها بالتفصيل عند الحديث عن هاتين الآفتين إن شاء الله تعالى.

٢- الحرمان من التوفيق الإلهي:

أي أن الأثر الثاني للإعجاب بالنفس، هو الحرمان من التوفيق الإلهي:

ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما ينتهي به الإعجاب إلى أن يقف عند ذاته، ويعتمد عليها في كل شيء ناسياً أو متناسياً خالقه وصانعه، ومدبر أمره، والمنعم عليه بسائر النعم الظاهرة والباطنة.

ومثل هذا يكون مآله الخذلان، وعدم التوفيق في ظل ما يأتي وفي كل ما يدع، لأن الحق - سبحانه- مضت سنته في خلقه، أنه لا يمنح التوفيق إلا لمن تجردوا من ذواتهم، واستخرجوا منها حظ الشيطان، بل ولجأوا بكليتهم إليه، تبارك اسمه، وتعاظمت آلاؤه، وقضوا حياتهم في طاعته وخدمته، كما قال في كتابه ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[(١)].

وكما قال في الحديث القدسي: « ... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ...»[(٢)].

٣- الانهيار في أوقات المحن و الشدائد:

أي أن الأثر الثالث للإعجاب بالنفس، هو الانهيار في أوقات المحن والشدائد: ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما يهمل نفسه من التزكية، والتزود بزاد الطريق، ومثل هذا

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الرقاق: باب التواضع ١٣١/٧ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً به.

ينهار ويضعف مع أول شدة أو محنة يتعرض لها، لأنه لم يتعرف على الله في الرخاء حتى يعرفه في الشدة، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١]، ﴿..وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وصدق النبي - ﷺ -إذ ينصح عبد الله بن عباس فيقول: « ... **احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ...**»[٣].

٤ – النفور و الكراهية من الآخرين:

أي أن الأثر الرابع للإعجاب بالنفس، هو النفور والكراهية من الآخرين، ذلك أن المعجب بنفسه قد عرَّض نفسه بصنيعه هذا لبغض الله له، ومن أبغضه الله أبغضه أهل السموات، وبالتالي يوضع له البغض في الأرض، فترى الناس ينفرون منه، ويكرهونه ولا يطيقون رؤيته بل ولا سماع صوته.

جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**»[٤].

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٨).
(٢) سورة العنكبوت: الآية (٦٩).
(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند.
(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب بدء الخلق باب الملائكة ١٣٥/٤ وكتاب الأدب: باب المقت من الله تعالى ١٧/٨، من حديث نافع وأبي صالح كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً، ومسلم في الصحيح، كتاب الأدب: باب إذا أحب الله عبداً ٢٠٣٠/٤ رقم ٢٦٣٧ من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً واللفظ لمسلم.

٥- العقاب أو الانتقام الإلهي عاجلاً أو آجلاً:

أي أن الأثر الخامس للإعجاب بالنفس، هــو العقاب أو الانتقام الإلهي عاجلاً أو آجلاً: ذلك أن المعجب بنفسه قد عرَّض نفسه بهذا الخلق إلى العقاب والانتقام الإلهي عاجلاً بأن يخسف به كما كان في الأمم الماضية، أو على الأقل يصاب بالقلق، والتمزق والاضطراب النفسي، كما في هذه الأمة، أو آجلاً بأن يعذب في النار مع المعذبين وصدق رسول الله -ﷺ- إذ يقول: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ**(١)**، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ**(٢) **إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣).

على العمل الإسلامي:

وأما آثاره على العمل الإسلامي فتدور حول:

١- **سهولة اختراقه**، وبالتالي ضربه، أو على الأقل إجهاضه، فلا يؤتي ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة، وزمن طويل، نظراً لانهيار العاملين المعجبين بأنفسهم في أوقات المحن والشدائد، بل وحرمانهم من خاصية نفاذ البصيرة، تلك التي تساعد على معرفة الأدعياء، وتمييز الدخلاء من غيرهم .

---

(١) مرجل جمته: أي مسرح ما سقط على المنكبين من شعر رأسه، إذ الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين، انظر النهاية ١٧٩/١.

(٢) يتجلجل: أي يغوص في الأرض يخسف به، والجلجلة حركة مع صوت، انظر النهاية ١٧٠/١.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب اللباس ،باب من جرّ ثوبه من الخيلاء ١٨٣/٧، ومسلم في الصحيح، كتاب اللباس و الزينة ١٦٥٣/٣ -١٦٥٤ كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً واللفظ للبخاري.

٢- توقف أو على الأقل بطء كسب الأنصار والأصدقاء، نظراً لنفور الناس وكراهيتهم للعاملين المعجبين بأنفسهم وهذا فيه ما فيه من طول الطريق وكثرة التكاليف، تلكم هي آثار الإعجاب بالنفس على العاملين، وعلى العمل الإسلامي.

رابعاً: مظاهر الإعجاب بالنفس:

ويمكن اكتشاف هذا الداء من خلال المظاهر التالية:

١- تزكية النفس:

أي أن المظهر الأول للإعجاب بالنفس، هو دوام التزكية للنفس والثناء عليها، والرفع من قيمتها، مع نسيان أو تناسى قول الله عز وجل: ﴿..**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[1].

٢- الاستعصاء على النصيحة:

والمظهر الثاني للإعجاب بالنفس، هو الاستعصاء على النصيحة بل والنفور منها، مع أنه لا خير في قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة.

٣- الفرح بسماع عيوب الآخرين لاسيما أقرانه:

والمظهر الثالث للإعجاب بالنفس هو الفرح بسماع عيوب الآخرين لاسيما أقرانه، حتى قال الفضيل بن عياض -رحمه الله- ((إن من علامة المنافق: أن يفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه))[2].

(١) سورة النجم: الآية (٣٢).
(٢) العوائق للأستاذ / محمد أحمد الراشد ص ٥٣ .

خامساً: الطريق لعلاج الإعجاب بالنفس:

وما دمنا قد وقفنا على أسباب وباعث الإعجاب بالنفس، فإن من السهل معرفة طريق علاج واقتلاع هذا الداء، بل الوقاية منه، وتتلخص في:

١- التذكير دائماً بحقيقة النفس الإنسانية: وذلك بأن يفهم المعجب بنفسه أن نفسه التي بين جنبيه لولا ما فيها من النفخة الإلهية ما كانت تساوى شيئاً، فقد خلقت من تراب تدوسه الأقدام، ثم من ماء مهين يأنف الناظر إليه من رؤيته، وسترد إلى هذا التراب مرة أخرى، فتصير جيفة منتنة، يفر الخلق كلهم من رائحتها، وهي بين البدء والإعادة تحمل في بطنها العذرة أي الفضلات ذات الروائح الكريهة، ولا تستريح ولا تهدأ إلا إذا تخلصت من هذه الفضلات.

إن مثل هذا التذكير يساعد كثيراً في ردع النفس، وردها عن غيها، واقتلاع داء الإعجاب منها، بل وحمايتها من التورط فيه مرة أخرى.

وقد لفت أحد السلف النظر إلى هذه الوسيلة حين سمع معجباً بنفسه قائلاً: ((أتعرف من أنا؟ فرد عليه بقوله: نعم: أعرف من أنت، لقد كنت نطفة مذرة[١] وستصير جيفة قذرة، وأنت بين هذا وذاك تحمل العذرة)).

٢- التذكير دائما بحقيقة الدنيا والآخرة: وذلك بأن يعرف المعجب بنفسه أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأنه مهما طال عمرها فإنها إلى زوال، وأن الآخرة إنما هي الباقية،

(١) فاسدة رائحتها كريهة .

وأنها هي دار القرار، إذ أن مثل هذا التذكير يحمل الإنسان على أن يعدل من سلوكه، أو يقوم عوج نفسه، قبل أن تنتهي الحياة، وقبل أن تضيع الفرصة، ويفوت الأوان.

٣- التذكير بنعم الله التي تغمر الإنسان، وتحيط به من أعلى إلى أدنى كما قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوهَا**﴾[١]، ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[٢]، فإن هذا التذكير من شأنه أن يشعر الإنسان بضعفه وفقره، وحاجته إلى الله دائماً، وبالتالي يطهر نفسه من داء الإعجاب، بل ويقيه أن يبتلى به مرة أخرى .

٤- التفكر في الموت: وما بعده من منازل، من شدائد وأهوال، فإن ذلك كفيل باقتلاع الإعجاب من النفس، بل وتحصينها ضده، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٥-دوام الاستماع أو النظر في كتاب الله عز وجل وسنة النبي-ﷺ- فإن فيهما البيان الشافي، والتحليل الدقيق لكل ما يتصل بالوسائل الأربع المذكورة آنفاً، وبهما يتخلص الإنسان -إن كان موضوعياً وصادقاً مع نفسه- من كل داء.

٦-دوام حضور مجالس العلم، لاسيما تلك التي تدور حول علل النفس وطريق الخلاص منها، فإن أمثال هذه المجالس كثيراً ما تعين على تطهير النفس، بل وصيانتها من داء الإعجاب.

---

(١) سورة النحل: الآية (١٨).
(٢) سورة لقمان: الآية (٢٠).

٧- **الإطلاع على أحوال المرضى وأصحاب العاهات بل والموتى،** لاسيما في وقت غسلهم وتكفينهم ودفنهم، ثم زيارة القبور بين الحين والحين والتفكر في أحوال أهلها ومصيرهم، فإن ذلك يحرك الإنسان من داخله، ويحمله على اقتلاع العجب ونحوه من كل العلل والأمراض النفسية أو القلبية .

٨- **وصية الأبوين أن يتحررا من داء الإعجاب بالنفس ونحوه،** وأن يكونا قدوة صالحة أمام الولد، وأن يفهماه بأن ما وقع منهما كان خطأً وأنهما قد أقلعا عن هذا الخطأ، وعليه أن يقلع عنه مثلهما ويتوب إلى الله عز وجل.

٩- **الانقطاع عن صحبة المعجبين بأنفسهم** مع الارتماء في أحضان المتواضعين العارفين أقدارهم، ومكانتهم، فإن ذلك يساعد في التخلص بل وفي التوقي من الإعجاب بالنفس .

١٠- **التوصية و التأكيد على ضرورة اتباع الآداب الشرعية في الثناء والمدح** في التوقير والاحترام، في الانقياد والطاعة، مع الإعراض والزجر الشديد لكل من يخرجون على هذه الآداب، فإن ذلك له دور كبير في مداواة النفس وتحريرها من الإعجاب .

١١- **التأخير عن المواقع الأمامية بعض الوقت،** إلى أن تستقيم النفس ويصلب عودها، وتستعصي على الشيطان فإن ذلك يسهل طريق العلاج.

١٢- **دوام النظر في سير السلف،** وكيف كانوا يتعاملون مع أنفسهم حين يرون منها مثل هذا الخلق، فإن ذلك يحمل على الإقتداء والتأسي، أو على الأقل المحاكاة، والمشابهة في استئصال هذا الداء، وقطع الطريق عليه أن يعود إلى النفس مرة أخرى.

١٣- **تعريض النفس بين الحين والحين لبعض المواقف التي تقتل كبرياءها** وتضعها في موضعها الصحيح، كأن يقوم صاحبها بخدمة إخوانه الذين هم أدنى منه في المرتبة، أو أن يقوم بشراء طعامه من السوق، وحمل أمتعته بنفسه، على نحو ما أثر عن كثير من السلف.

فقد روي عن عمر - رضي الله عنه - ((أنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خفيه وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة عامر بن الجراح: لقد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند أهل الأرض، فصك صدره وقال: أوَّه، لو غيرك قال هذا يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله برسوله فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله)).

وجاء في رواية أخرى: ((أنه لما قدم الشام استقبله الناس، وهو على بعيره، فقيل له، لو ركبت برذوناً تلقى به عظماء الناس ووجوههم؟ فقال عمر - رضي الله عنه -: لا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا -وأشار بيده إلى السماء- خلوا سبيل جملي)).

١٤- **متابعة الآخرين له،** ووقوفهم بجانبه حتى يتمكن من التخلص من هذه الآفة.

١٥- **محاسبة النفس أولاً فأولاً**، حتى يمكن الوقوف على العيوب وهي لا تزال في بداياتها فيسهل علاجها والوقاية منها.

١٦- **إدراك العواقب والآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس**، فإنها ذات أثر فاعل في علاج هذه الآفة والتحصن ضدها.

١٧- **الاستعانة بالله** -عز وجل- وذلك بواسطة الدعاء والاستغاثة واللجوء إليه، أن يأخذ الله بيده، وأن يطهره من هذه الآفة، وأن يقيه شر الوقوع فيها مرة أخرى، إذ أن من استعان بالله أعانه الله، وهداه لصراطه المستقيم.

١٨- **التأكيد على المسئولية الفردية، بغض النظر عن الأحساب والأنساب**، فإن ذلك له دور كبير في علاج النفس، بل وحفظها من أن تقع مرة أخرى في آفة الإعجاب.

القعود

القعـــــود

أولاً: الأهداف:

سيكون القارئ بعد الانتهاء من دراسة هذا الفصل بعمق، قادراً على:

١. أن يعرف القعود لغة واصطلاحاً.
٢. أن يعدد مظاهر القعود في ميزان الإسلام.
٣. أن يشرح أسباب القعود.
٤. أن يفهم آثار القعود على العاملين.
٥. أن يفهم آثار القعود على العمل الإسلامي.
٦. أن يشرح طرق علاج القعود.

ثانياً: المحتوى:

١. مفهوم القعود لغة واصطلاحاً.
٢. مظاهر القعود.
٣. أسباب القعود.
٤. آثار القعود على العاملين.
٥. آثار القعود على العمل الإسلامي.
٦. طرق علاج القعود.

القعـــود

الآفة الثالثة التي قد يبتلى بها نفر من العاملين لدين الله بل لقد أصيب بها بالفعل نفر من هؤلاء، وكانت وراء تمكّن الباطل وإحكامه القبضة حول أعناقنا إنما هي: "القعود".

وحتى يتطهّر منها من ابتلى بها، ويقي نفسه من سلّمه الله _عز وجل_ منها، فإنه لابد من إعطاء تصور صحيح واضح عنها، وذلك على النحو التالي:

أولا: تعريف القعود:

لغة: يأتي القعود في لغة العرب على معان، منها:

١. الجلوس بعد قيام، نقول: قعد فلان: جلس بعد أن كان قائما.

٢. الانقطاع والترك للأمر، أو التأخر عنه، نقول: قعدت المرأة عن الحيض والولد: انقطعت، وقعد عن الأمر: تركه أو تأخر عنه.

٣. الاحتباس عن الشيء، نقول: ما قعَّدك عن الأمر، وأقعدك، أي ما حبسك.

٤. عدم الاهتمام بالأمر، نقول: قعد عن الأمر: ليس مهتما به.

٥. الداء يصيب الجسد فيقعده، وقيل: داء يأخذ في أوراك الإبل، فيميلها إلى الأرض أو هو الزَّمِن الذي لا يشفى.

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا، فإن الداء حين يصيب الجسد ويتمكن منه، يعوق صاحبه عن مواصلة السير، فإذا هو قاعد أو منقطع، أو على الأقل متأخر مع عدم اكتراث واهتمام[1].

اصطلاحا:

والقعود في اصطلاح الدعاة العاملين لدين الله: مرض يصيب الداعية من داخله يعوقه عن مواصلة السير في الطريق إلى نهايتها، فإذا هو قاعد أو منقطع، أو على الأقل متأخر عن الركب دون اكتراث أو مبالاة واهتمام.

يقول ابن عطية – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ** ﴾[2]، والقعود هنا عبارة عن التخلف والتراخي كما في قول الشاعر:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[3].

ويقول العلامة الألوسي _رحمه الله_ في تفسير هذه الآية: ((تمثيل لخلق الله تعالى داعية القعود فيهم، وإلقائه سبحانه كراهة الخروج في قلوبهم بالأمر بالقعود، أو تمثيل لوسوسة الشيطان بذلك، فليس هنا قول حقيقة، ونظير ذلك قوله سبحانه: ﴿ **فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ** ﴾[4]، _ أي أماتهم_ ويجوز أن يكون حكاية قول بعضهم لبعض، أو إذن

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٣٥٧/٣ - ٣٦٤٤، والمعجم الوسيط ٧٤٨/٢، ٧٤٩ مادة: "قعد" بتصرف كثير.
(٢) سورة التوبة: الآية (٤٦).
(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٩٥/٨.
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٤٣).

الرسول -ﷺ- لهم في القعود، فالقول على حقيقته. والمراد بالقاعدين: الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت كالنساء، والصبيان، والزَّمنى _أي المرضى مرضا مقعدا_أو الرجال الذين يكون لهم عذر يمنعهم عن الخروج، وفيه على بعض الاحتمالات من الذم مالا يخفى على متدبر))[1].

وواضح أن بعض الاحتمالات التي توجب الذم في نظر الألوسي ما عبَّر عنه بقوله: ((ويجوز أن يكون حكاية قول بعضهم لبعض)).

ثانيا: مظاهر القعود، وقيمته في ميزان الإسلام:

وللقعود مظاهر وصور تدل عليه، وأهم هذه المظاهر، وتلك الصور:

١ - **ترك منهج الله بالمرة**، والتحاكم إلى مناهج البشر، وهذا وإن كان قليلا لكنه- كما يشهد الواقع - موجود.

٢ - **ترك الدعوة إلى الله**، مع الاستقامة في النفس والأهل والولد.

٣ - **التفرغ لإيذاء العاملين لدين الله**: تارة بانتقاصهم، والطعن في أشخاصهم، وفي ذواتهم، وتارة بانتقاصهم، والطعن في منهاجهم، وتارة بتأييد من ينتقصونهم، ويطعنون فيهم تلويحا أو تصريحا، وتارة بغير ذلك من السباب، والشتائم، بل ربما الإيذاء البدني.

---

(١) انظر: روح المعاني ٢٢٢/٤/١٠.

٤ - **السعي لتمزيق صف العاملين لدين الله**: تارة بوضع منهاج يوافق منهج الله في الشكل، ويجافي ويختلف معه في المضمون والجوهر، ثم دعوة الناس لا سيما الشباب للانضواء تحت لواء هذا المنهاج المبتدع، وتارة بالدخول في هذا المنهج، ثم بالخروج منه، والإشاعة بين الناس أنه ما خرج إلا لفساد المنهج.

٥ - **الركون إلى الظالمين بصورة أو بأخرى**، ثم الدفاع عن هؤلاء الظالمين بكل الأساليب، والوسائل.

٦ - **الاطلاع على بعض أخطاء العاملين** _ ((وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون))_ ثم نشر هذه الأخطاء، وإعلانها على الملأ من الناس.

٧ - **لَيُّ النصوص**، أو استخدامها في غير موضعها، أو نقلها نقلا مشوَّها بصورة تعبر عن مكنون ما في النفس من الحقد والكراهية لدين الله، وللعاملين بهذا الدين ولهذا الدين، إلى غير ذلك من المظاهر والصور.

والقعود بهذه المظاهر، وتلك الصور، مذموم في دين الله، ويكفيه ذما أن الله جعله من صفات وخصائص المنافقين إذ يقول سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٨).

أخرج ابن جرير عن السُّدِّي قال: ((خرج رسول الله -ﷺ- يوم أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا، فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي في ثلاثمائة، فتبعهم أبو جابر السُّلمي يدعوهم، فلما غلبوه، وقالوا له: ما نعلم قتالا، ولئن أطعتنا لترجعن معنا، قال: فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول: قول عبد الله أبى جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم، وردّهم، فقال: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ** ﴾ الآية[1].

وأخرج ابن جرير أيضاً، وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا...** ﴾الآية، قال: ((ذكر لنا أنها نزلت في عدو الله، عبد الله بن أبي))[2].

ويقول سبحانه _ حكاية عن قوم موسى مع موسى حين طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، ولا يترددوا، فخافوا، وامتنعوا_ قال: ﴿ **قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[3].

يقول الألوسي: ((فاذهب _أي إذا كان الأمر كذلك فاذهب_ أنت وربك فقاتلا_ أي فقاتلاهم، وأخرجاهم حتى ندخل الأرض، وقالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه، وبرسوله عليه الصلاة والسلام، وعدم مبالاة، وقصدوا: ذهابهما، حقيقة، كما ينبئ عنه غاية جهلهم، وقسوة قلوبهم، والمقابلة بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[4].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ٤/٣//١١١، ١١٢، وعنه نقل السيوطي في الدر المنثور ٣٧٠/٢.
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) سورة المائدة: الآية (٢٤).
(٤) انظر: روح المعاني ١٠٨/٢/٦ .

ويقول سبحانه: ﴿ **فَإِنْ رَجَعَكَ الله إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** ﴾[1].

يقول ابن جرير الطبري: ((يقول جل ثناؤه لنبيه محمد -ﷺ- فإن ردك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه، فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها، فقل لهم: لن تخرجوا أبدا، ولن تقاتلوا عدوا، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، وذلك عند خروج النبي -ﷺ- لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم))[2].

وأيد ما قال بالمأثور، قائلا: ((حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله، الحر شديد، ولا نستطيع الخروج، فلا تنفر في الحر، وذلك في غزوة تبوك، فقال الله: ﴿ **قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾[3]، فأمره الله بالخروج، فتخلف عنه رجال، فأدركتهم نفوسهم، فقالوا: والله ما صنعنا شيئا، فانطلق منهم ثلاثة، فلحقوا برسول الله -ﷺ-فلما أتوه تابوا، ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿ **فَإِنْ رَجَعَكَ الله إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِه** ﴾[4]. فقال رسول الله -ﷺ-: "هلك الذين تخلَّفوا"، فأنزل الله عذرهم لما تابوا، فقال:

(١) سورة التوبة: الآية (٨٣).
(٢) انظر: جامع البيان ١٠/٦/ ١٤٠، ١٤١.
(٣) سورة التوبة: الآية (٨١).
(٤) سورة التوبة: الآية (٨٤).

﴿ **لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ** ﴾ إلى قوله ﴿ **إِنَّ اللهَّ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[1]، وقال: ﴿ **إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾))[2]، ثم ساق آثارا أخرى في غير هذا المعنى، وعاد فقال: ((والصواب من التأويل في قوله: ﴿ **الخالفين** ﴾ ما قال ابن عباس))[3].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِالله وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ** ﴾[4].

يقول ابن جرير: ((يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن، بأن يقال لهؤلاء المنافقين: ﴿ **آمِنُوا بِالله** ﴾ يقول: صدِّقوا بالله، ﴿**وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِه** ﴾ يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله -ﷺ-، استأذنك أهل الغنى والمال منهم في التخلف عنك، والقعود في أهله، ﴿ **وقالوا ذرنا** ﴾ يقول: وقالوا لك: دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم، ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر))[5].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنْ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[6].

ويقول سبحانه: ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**

(١) سورة التوبة: الآية (١١٧).
(٢) انظر: جامع البيان ١٠/ ٦/ ١٤٠، ١٤١ .
(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحات .
(٤) سورة التوبة: الآيتان (٨٦، ٨٧).
(٥) انظر: جامع البيان ١٠/٦/١٤٣ .
(٦) سورة التوبة: الآية (٩٢).

وَكُلاًّ وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَفَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ الله غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[١].

يقول ابن جرير الطبري: "يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ ﴾[٢]، لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله، وبرسوله، المؤثرون الدّعة والخفض والقعود في منازلهم على مقاساة حر الأسفار، والسير في الأرض، وشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله، وقتالهم في طاعة الله، لا أهل العذر منهم، بذهاب أبصارهم، وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها، للضرر الذي بهم، إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله﴾[٣]، ومنهاج دينه، لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغون طاقتهم في قتال أعداء الله، وأعداء دينهم {بأموالهم} إنفاقا لها فيما أوهن كيد أعداء أهل الإيمان بالله، وبأنفسهم مباشرة بها قتالهم بما تكون به كلمة الله هي العالية وكلمة الذين كفروا السافلة))[٤].

ويقول رسول الله -ﷺ-: « مَنْ رَابَطَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ صِيَامِ شَهْرٍ، للقاعِدِ وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله، أَجْرَى الله لَهُ أَجْرَهُ، والَّذِي كانَ يَعْمَلُ أَجْرَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامِهِ، وَنَفَقَتِهِ، وَوُقِيَ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ، وَأَمِنَ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ»[٥]، إلى غير ذلك من النصوص.

---

(١) سورة النساء: الآيتان (٩٥، ٩٦).
(٢) سورة يونس: الآية (٣٩).
(٣) سورة يونس: الآية (٣٩).
(٤) انظر: جامع البيان ٥/٤/ ١١٤.
(٥) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤٠/٥ من حديث سلمان مرفوعا بهذا اللفظ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الجهاد. باب في الرباط ٢٩٠/٥ من حديث سلمان بنحوه، وعقب عليه بقوله: "رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم"..

والآيات وإن كان أكثرها في المنافقين إلا أنها توحي من طرف خفي بذم القعود مطلقا بغير عذر مقبول، سواء انتهى بصاحبه إلى أن يكون منافقا كهؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآيات، أو انتهى به إلى أن يكون مسلما مرتكبا إثما عظيما.

ثالثا: أسباب القعود:

وللقعود عن العمل لدين الله -عز وجل- أسباب تؤدي إليه، وبواعث توقع فيه، وأهم هذه الأسباب، وتلك البواعث:

١. المعصية:

ذلك أن المرء إذا تلطخ بالمعصية بكل أشكالها وصورها: الظاهرة منها والباطنة، الصغيرة منها والكبيرة، ولم يبادر بالتوبة، والإنابة والرجوع إلى الله -عز وجل- فإن هذه المعصية تؤدي إلى مرض القلب، بل موته، وحينئذ لا يكون للقلب سيطرة على الجوارح، ويجد شياطين الإنس والجن، وكذلك الدنيا ببريقها وزخارفها وزيناتها، الطريق مفتوحة للوسوسة والإغواء والإغراء بكل ما يغضب الله ورسوله، ومنه القعود عن العمل لدين الله بصورة أو بأخرى على النحو الذي قدّمنا.

وقد نبه الحق _تبارك وتعالى_ إلى أن المعصية تقود إلى كل ضر في خلال ما حكاه عن بعض جرائم في إسرائيل، وأن المعصية إنما كانت السبب في ارتكاب هذه الجرائم، حيث يقول سبحانه:

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون ﴾[1].

يقول ابن جرير -رحمه الله- في إجمال تفسير هذه الآية: ((ومعنى الكلام: فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمري، وتجاوزوا حدّي إلى ما نهيتم عنه))[2] كما نبّه إليه رسول الله -ﷺ- بقوله: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[3].

ولابن قيم الجوزية تصويران لأثر المعصية على العبد، أحدهما واسع مطول يكفي أن نحيل القارئ عليه[4]، والآخر موجز يقول فيه:

((والمقصود أن الذنوب والمعاصي سلاح، ومدد يمد بها العبد أعداءه، ويعينهم بها على نفسه، فيقاتلونه بسلاحه، ويكون معهم على نفسه، وهذا غاية الجهل:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه[5].

(١) سورة البقرة: الآية (٦١).
(٢) انظر: جامع البيان ٢٥٢/١.
(٣) الحديث سبق تخريجه في آفة "اتباع الهوى".
(٤) انظر: الداء والدواء، أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: فصل: المعاصي عدو لدود ص ١٣٨ - ١٤٩.
(٥) انظر: المحرر الوجيز في ١٨٣/٨-١٨٤.

٢. التوسع في المباحات:

وذلك أن الله عز رجل لم يمنع عباده من نصيبهم مـن المباحـات ولكنـه حمايـة لهـم ورحمة بهم طلب منهم أن يكون أخذها بتوسط واعتدال فقال سبحانه: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾(١).

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾(٢).

ويوم تغيب هذه الحقيقة عن بال المسلم ويتوسع في المباحات، ينتهي به هذا التوسع إلى القعود، وترك العمل لدين الله، لا سيما وطريق الله ليست مفروشـة بـالحرير والـورود، وإنما محفوفة بالمخاطر والمتاعب، والآلام، ومفروشة بالأشواك، ومروية بالدموع، ومزدانـة بالدماء والجماجم.

وقد تنبه سلف الأمة إلى هذا السبب، فحذروا من الوقوع فيه. هذه عائشـة – رضي الله عنها– تقول: ((أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها: الشبع، فإن القـوم لما شـبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم، وجمحت شهواتهم))(٣).

وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: ((إياكم والبطنـة في الطعـام والشـراب، فإنهـا مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصـد فـيهما، فإنـه أصلح

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣١).
(٢) سورة المائدة: الآية (٨٧).
(٣) سبق تخريج هذا الأثر في آفة: "الفتور".

للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه))[1].

وإذ يقول أبو سليمان الداراني: ((من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق _لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع_ وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل))[2].

٣ – تمكن الدنيا من القلوب:

وذلك أن الدنيا إذا تمكنت من القلوب حملت صاحبها حملا على الركون إليها، والاطمئنان والرضا بها، والغفلة عن الآخرة وترك العمل لهذه الآخرة، وهذا هو القعود بعينه. ولقد بيَّن سبحانه وتعالى في كتابه هذا السبب حين قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ ﴾[3].

يقول ابن عطية -رحمه الله-: ((هذه الآية هي بلا خلاف، نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله -ﷺ- في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام، غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل وتخلف عنه قبائل من الناس، ورجال من

(١) سبق تخريج هذا الأثر في آفة: "الفتور".
(٢) سبق تخريج هذا الأثر في آفة: "الفتور".
(٣) سورة التوبة: الآية (٣٨).

المؤمنين كثير، ومنافقون، فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل، وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة، وخص الثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة ابن الربيع، وهلال بن أمية بذلك التأنيب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذ هم من أهل بدر، وممن يقتدى بهم، وكان تخلفهم لغير علة حسب ما يأتي))(١).

ويقول أيضا: ((وقوله: ﴿**أرضيتم**﴾ تقرير، يقول: أرضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة، وحظها الأسعد)) ؟!(٢).

وكذلك نبّه رب العزة إلى هذا في قوله سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾(٣).

يقول ابن عطية: ((ومعنى: ﴿**كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**﴾: أمسكوا عن القتال، وقوله: ﴿**يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ**﴾ يعني: أنهم كانوا يخافون الله في جهة الموت، لأنهم لا يخشون الموت إلا منه، فلما كتب عليهم قتال الناس رأوا أنهم يموتون بأيديهم فخشوهم في جهة الموت كما كانوا يخشون الله))(٤).

(١) انظر: المحرر الوجيز ٨/١٨٤،١٨٣.
(٢) انظر: المحرر الوجيز ٨/١٨٤،١٨٣.
(٣) سورة النساء: الآية (٧٧).
(٤) انظر: المحرر الوجيز ٤/١٧٨.

ويقول أيضا: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: الأجل القريب: يعنون بـه مـوتهم عـلى فرشـهم، هكذا قاله المفسرون، وهذا يحسن إذا كانت الآية في اليهود أو المنافقين، وأمـا إذا كانـت في طائفة من الصحابة، فإنما طلبوا التأخر إلى وقت ظهور الإسلام، وكثرة عددهم))[1].

ونبه إليه أيضا في قوله سبحانه: ﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ** ﴾[2].

يقول ابن عطية: ((ولما فعلوا فعل من استحب ألزموا ذلك، وإن كانوا غير مصدقين بآخرة لكن الأمر في نفسه بين، فمن حيث أعرضوا عـن النظـر فيـه كـانوا كمـن اسـتحب غيره))[3].

والتعذيب، أو النفي والتشريد في الأرض، وكل هذه الجرائم بسبب قعود القاعدين. وما لقيه أبناء الحركة الإسلامية في مصر من التعذيب في أوائل الخمسينات بسبب انسحاب نفر من العلماء من الصف، ومعهم ما لا يحصى من المتأثرين بهم، والواثقين فيهم – شاهد صدق على ما نقول، ويتحمل هذا النفر إثم ما نزل بهؤلاء إلا أن يعفو الله عنهم، ويتجاوز. وما يلقاه العمل الإسلامي اليوم بعموم من انسحاب نفر من الميدان، وقبوله أن يكون سوطا في يد الباطل يلهب به ظهور العاملين ويحرّض عليهم، ويخيف الناس منهم – لهو شاهد صدق كذلك على ما نقول.

---

(١) المرجع السابق ١٧٩/٤.
(٢) سورة النحل: الآية (٣٩).
(٣) المرجع السابق ٢٣٨/١٠.

ويقول العلامة الألوسي -رحمه الله-: ((﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى الكفر بعد الإيمان، أو الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، أو المذكور من الغضب والعذاب ﴿ بأنهم ﴾، أي بسبب أن الشارحين صدورهم بالكفر ﴿ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي آثروها، وقدموها، ولتضمن الاستحباب معنى الإيثار قيل: ﴿ عَلَى الآخِرَةِ ﴾ فعُدِّي بعلى، والمراد على ما في البحر _ أي على ما جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان_ أنهم فعلوا فعل المستحبين ذلك، وإلا فهم غير مصدقين بالآخرة))(١).

وكذلك نبه إليه في قوله سبحانه: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾(٢).

يقول ابن عطية: ((وقوله: ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ معناه: لا يصدق بغيرها، فسعيه كله وعمله إنما هو لدنياه))(٣).

ويقول الألوسي: ((فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم الحق، وهو القرآن العظيم المنطوي على بيان الاعتقادات الحقة، المشتمل على علوم الأولين والآخرين، المذكر للآخرة، وما فيها من الأمور المرغوب فيها، والمرهوب عنها، والمراد بالإعراض عنه: ترك الأخذ بما فيه وعدم الاعتناء به، وقيل: المراد بالذكر: الرسول-ﷺ-، وبالإعراض عنه: ترك الأخذ بما جاء به،وقيل: المراد به الإيمان، وقيل: هو على ظاهره، والإعراض عنه: كناية عن

---

(١) انظر روح المعاني ١٠/١٤/٢٣٨-٢٣٩.
(٢) سورة النجم: الآية (٢٩).
(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢٧١/١٥.

الغفلة عنه-عز وجل- ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾: راضيا بها، قاصرا نظره عليها، جاهدا فيما يصلحها كالنضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة، والمراد من الأمر المذكور: النهي عن المبالغة في الحرص على هداهم، كأنه قيل: لا تبالغ في الحرص على هدي من تولى عن ذكرنا وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته، وقصارى سعيه))[1].

٤ – عدم استصحاب نية المضي إلى آخر الطريق وعدم العمل بمقتضى هذه النية:

وذلك أن سنته سبحانه في خلقه مضت بأن من نوى الخير وعمل بمقتضى هذه النية، فإنه سبحانه يوفقه ويؤيده حتى يصل إلى ما يريد، ومن نوى الشر وعمل بمقتضى هذه النية، فإنه سبحانه يتخلى عنه ويخذله فلا يوفق إلى الخير أبدا، ويضيع، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ ﴾[2]، ﴿ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[3]، ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً ﴾[4]. ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[5].

وانطلاقا من هذه السنة لله في خلقه فإن من لا يستصحب نية المضي في الطريق إلى نهايتها، ويترك العمل بمقتضى هذه النية، تكون عاقبته الحرمان من توفيق الله وتأييده، ويكون القعود، وقد نبه رب العزة إلى هذا السبب وهو يتحدث عن المنافقين الذين قعدوا عن شهود تبوك مع النبي -ﷺ- بأعذار واهية، وأن السبب الحقيقي إنما هو عدم استصحاب نية الجهاد، والخروج مع رسول الله -ﷺ-، وآية ذلك أنهم لم يعملوا بمقتضى

(١) انظر: روح المعاني ١٠/٢٧/٦٠.
(٢) سورة محمد: الآية (١٧).
(٣) سورة مريم: الآية (٧٦).
(٤) سورة مريم: الآية (٧٥).
(٥) سورة الصف: الآية (٥).

هذه النية، فكانت العاقبة أن كره الله خروجهم فخذلهم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ** ﴾[1].

يقول ابن عطية: ((وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ** ﴾ الآية حجة على المنافقين، أي ولو أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك، واستعدوا له قبل كونه))[2].

ويقول الألوسي: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّة** ﴾، أي أهبة من الزاد والراحلة، وسائر ما يحتاج إليه المسافر في السفر الذي يريده))[3].

٥ – العيش وسط القاعدين:

وذلك أن المرء كثيرا ما يتأثر بالوسط الذي يعيش فيه سواء أكان هذا الوسط قريبا _ وهو البيت _ أم بعيدا _ وهو المجتمع _ لا سيما إذا لم تكن لديه الحصانة الكافية التي يقاوم بها هذا الوسط القاعد، وكان هذا الوسط حريصا على إقعاده بطريق أو بأخرى من سخرية واستهزاء، إلى إغواء وإغراء، إلى تخويف وتثبيط، إلى غير ذلك، وليست له من تهمة ولا جريرة إلا أنه عامل متحرك بدين الله عز وجل، وتكون العاقبة التخلف والقعود؟ ولذا جاء عنه -ﷺ- قوله: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[4]، «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»[5].

(١) سورة التوبة: الآية (٣٩).
(٢) انظر: المحرر الوجيز ١٩٤/٨.
(٣) انظر: روح المعاني ١١١/٤/١٠.
(٤) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: ٢٥٩/٤ رقم (٤٨٣٣)، والترمذي في السنن: ٥٠٩/٤ رقم (٢٣٧٨) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب،، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ .
(٥) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: ٢٥٩/٤ رقم (٤٨٣٢)، والترمذي في السنن: ٥١٩/٤ رقم (٢٣٩٥) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه"، والدارمي في السنن: ١٠٣/٢، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٦ – عدم اليقين بوعد الله ورسوله:

وذلك أن الله وعد المؤمنين العاملين الاستخلاف والتمكين، والأمن والأمان، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾(١)، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ ﴾(٢)، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِالله شَهِيدًا ﴾(٣)، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَالله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(٤).

وأكد النبي -ﷺ- ذلك فقال: « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنهار، وَلاَ يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزٍّ يُعِزُّ بِهِ الإِسْلاَمَ، أَوْ ذُلٍّ يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ»(٥)،« تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا

(١) سورة النور: الآية (٥٥).
(٢) سورة الصافات: الآيات (١٧١_١٧٣).
(٣) سورة الفتح: الآية (٢٨).
(٤) سورة الصف: الآيتان (٨، ٩).
(٥) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٣/٤، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب المغازي والسير: باب علو الإسلام على كل دين خالفه وظهوره عليه ١٧/٦ وعقب عليه بقوله: "رجال أحمد رجال الصحيح"، والبيهقي في الكبرى: كتاب السير: باب إظهار دين النبي _ﷺ_على الأديان ١٨١/٩، والحاكم في المستدرك ٤٣٥/٤، ٤٣١ وعقب عليه بقوله: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، كلهم من حديث تميم الداري".

شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا – وفي رواية: **عضوضا– تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت »**[1]، **« بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»**[2]، إلى غير ذلك من الأحاديث.

ومن لم يوقن بهذا الوعد، فانه يقعد لا محالة، ويترك العمل لدين الله من الدعوة والجهاد.

ولقد نبه رب العزة إلى هذا السبب، وهو يتحدث عن قعود المنافقين بقوله: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنْ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَه ﴾[3].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٧٣/٤ من حديث حذيفة مرفوعا، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب كيف بدأت الإمامة وما تصير إليه والخلافة والملك ١٩١/٥، ١٩٢ من حديث حذيفة مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "رجاله ثقات" وعن الهيثمي نقل الدكتور يوسف القرضاوي في: ثقافة الداعية ص ٦٧، ٦٨.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٣٤/٥ من حديث أبي بن كعب مرفوعا بلفظ: "بشر هذه الأمة بالسناء والتمكن في البلاد والنصر والرفعة في الدين، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة نصيب " وأورده المنذري في الترغيب والترهيب: كتاب إخلاص النية واتباع الكتاب والسنة: باب الترهيب من الرياء أو ما يقوله من خاف شيئا منه ١٠٧/١ رقم (١٥) المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، انتقاء الدكتور يوسف القرضاوي، من حديث أبي بن كعب مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: "رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيحا لإسناد". وقد أقره الذهبي على ذلك في التلخيص ٣١١/٤ وعاد فعقب عليه في ٣١٨/٤ بقوله: "فيه من الضعفاء محمد بن الأشرس السلمي وغيره". والسر في هذا الاختلاف: أن الإسناد الأول صحيح والآخر ضعيف، كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي.

(٣) سورة التوبة: الآية (٩٠).

يقول ابن جرير الطبري: ((يقول تعالى ذكره: وجاء رسول الله -ﷺ-المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف، وقعد عن المجيء إلى رسول الله -ﷺ- والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله، وقالوا الكذب، واعتذروا بالباطل))[1].

٧ – مباغتة معوقات الطريق مع عدم الفطنة والاستعداد لهذه المعوقات:

ذلك أن هناك معوقات على الطريق من النفس الأمارة بالسوء إلى شياطين الجن، إلى شياطين الإنس، إلى الدنيا ببريقها وزيناتها، ممثلة في الزوج، والأولاد، والأموال، والمناصب، والوجاهة، والسلطان، ونحوها، إلى طول الطريق نفسها، وما لم يكن المرء فطنا مستعدا لهذه العقبات، وتباغتها، فإنه يصاب بالقعود لا محالة إلا أن يتغمده الله سبحانه وتعالى بفضل منه ورحمة.

وفي قصة الذي كان يعرف بحمامة المسجد، وطلب من النبي -ﷺ- أن يدعو الله له بالغنى، ونصحه النبي -ﷺ- بقوله: "قليل تؤدي شكره خير من كثير يطغيك"، وألح حتى دعا النبي -ﷺ- ربه له بالغنى، وجاءته الدنيا، وما كان فطنا مستعدا، فضاع، وفيه نزل قوله سبحانه:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ

(١) انظر: جامع البيان ١٠/١٤٤.

يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (١).

هذه القصة تشرح لنا هذا السبب بجلاء ووضوح.

يقول الإمام الطبري معلقا على الآيات المذكورة: ((يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم ﴿ **مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ** ﴾، يقول: أعطى الله عهدا ﴿ **لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالا، ووسع علينا من عنده، ﴿ **لَنَصَّدَّقَنَّ** ﴾ يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا، ﴿ **وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ يقول: ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله، يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله، وآتاهم من فضله، فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذي آتاهم، فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة، ولم ينفقوا منه في حق الله، ﴿ **وَتَوَلَّوا** ﴾ يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله ﴿ **وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ عنه، فأعقبهم الله نفاقا في قلوبهم ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم، فيما آتاهم من فضله، لإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله، ونقضهم عهده في قلوبهم ﴿ **إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ** ﴾ من الصدقة والنفقة في سبيله، ﴿ **وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُون** ﴾ في قيلهم، وحرمهم التوبة منه؛ لأنه جَلَّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه أعقبهم إياه إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم، وخروجهم من الدنيا))(٢).

---

(١) سورة التوبة: الآيات (٧٥_٧٨).
(٢) انظر: جامع البيان ١٠/٦/١٣٠.

٨ - التأخير إلى موقع الجندية بعد القيادة:

وذلك أن الواقع قد شهد بأن بعض الناس حين يكون في موقع القيادة، ولسبب أو لآخر يرد إلى موقع الجندية، تكبر عليه نفسه، لا سيما إذا نظر إلى القيادة على أنها تشريف لا تكليف، غنائم لا تبعات، وحينئذ لا يكون منه إلا القعود، والتخلي عن أداء الواجب، وقد شاهدت بعيني رأسي شابا نشطا عاملا لدين الله، وبلغ به نشاطه أن كانت له حلقة علمية، يحضرها كثيرون، ولسبب أو لآخر طلب إليه أن يكون تلميذا لا أستاذا، جنديا لا قائدا فورمت أنفه، وشرق بريقه، وقعد عن العمل لدين الله، وترك الواجبات المنوطة به، وحين فوتح في ذلك أجاب بأن الجندية خنق وقتل للمرء، والقيادة حرية وانطلاق، فكيف تضيع مني القيادة، وأرضى بالجندية، وبينهما من الفرق ما بينهما، فكان الرد على الفور: "رحم الله أبا سليمان خالد بن الوليد، فقد جاءه كتاب العزل من أمير المؤمنين عمر لمصلحة رآها عمر، وكان هو القائد المظفر، فنفَّذ ما في الكتاب وكله فرح وسرور، وأخذ مكانه جنديا بين الجنود، وقال مقولته المشهورة: والله لو ولّى علي عمر عبدا أسود اللون لسمعت وأطعت ما دام يقودني بكتاب الله)).

٩ - الاغترار بوعود الباطل:

وذلك أن الباطل يحاول بطريق أو بأخرى تكثير سواد القاعدين من المسلمين الدعاة العاملين لدين الله، وله في ذلك أساليب كثيرة، ومنها الوعود البراقة بمال، أو بمنصب، أو بوجاهة مثلما حاول عتبة بن ربيعة مع رسول الله -ﷺ-، ومن الناس من تنطلي عليه هذه الوعود، وينساق وراءها تاركا الالتزام بمنهج الله، والعمل لدينه من أجل الظفر

بهذه الوعود، وقد شاهدنا في تاريخ الحركة الإسلامية في العصر الحاضر نفرا زين لهم أهل الباطل القعود حين منحوهم بعض المناصب العليا فقعدوا، ثم ألقى بهم هؤلاء في العراء عند أول تغيير لمن يشغلون هذه المناصب، وما أغنت عنهم هذه الوعود من الله شيئا، بل على العكس لقد أغضبوا ربهم حين ركنوا إلى الظالمين وآزروهم، أو أعانوهم على ظلمهم، وبغيهم في الأرض بغير الحق.

وفي الأدب الرمزي: قصة الذي غضب لله أول مرة: لأن شجرة تعبد من دون الله، وعبر عن غضبه هذا بمحاولة قطع الشجرة، ومناه الشيطان الذي تمثل له في صورة بشر مدافع عن الشجرة ببعض المال كل صباح، فقعد طمعا في تحقيق هذا الوعد، وما هي إلا أيام حتى ذاب هذا الوعد، وصار سرابا وحاول قطع الشجرة هذه المرة، ولم ينجح؛ لأن غضبه لم يكن لله، وإنما كان للوعد الذي أخلف ولم يتحقق، وهكذا يؤدي الاغترار بوعود الباطل إلى القعود والتخلي عن الواجب.

١٠ - عدم وجود منهاج يملأ الحياة ويقضي على الفراغ:

وذلك أن المسلم إذا لم يشغل نفسه بمنهاج يملأ حياته ويقضي على الفراغ، من تدبر وتفكر إلى عبادات مخصوصة، كصلاة ونحوها، إلى رعاية للآداب الاجتماعية، إلى قيام بحق الأهل والولد، إلى كسب للعيش، إلى اشتغال بدعوة وهداية الآخرين، إلى الوقوف في وجه الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا، إلى غير ذلك مما يعد جزءا من رسالة المسلم في الأرض - إذا لم يشغل المسلم نفسه بمنهاج كهذا، فإن نفسه الأمارة بالسوء تملي عليه، بإغواء من شياطين الجن والإنس، وبتأثير من زخرف الحياة

الدنيا، منهاجا باطلا غير ما يريد الله ورسوله، ويأخذ في تنفيذ هذا البرنامج، وذلك هو عين القعود.

١١ - عدم ملاءمة المنهاج للطاقات والإمكانات:

وذلك أن المسلم لا يبقى حيا نشطا متحركا إلا في ظل منهاج ملائم لطاقاته وإمكاناته، ويوم أن يخلو المنهاج من هذه الملاءمة، كأن يكون فوق المستوى، أو دون المستوى، فإن العاقبة ستكون القعود والترك إلا من رحم الله.

ولعل هذا هو سر مخاطبته -ﷺ- لكل واحد من أصحابه بما يلائمه ويتناسب مع ميوله وإمكاناته وطاقاته،بل وعلله، وأمراضه، فقد كان يخاطب الجميع خطابا عاما، ويأتي إلى الخاصة ويخاطبهم خطابا فوق خطاب العامة.

عن أَنَس بْن مَالِكٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ (ثَلاَثًا)، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ».

قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[١].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب العلم: ٤٤/١، ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: ٦١/١ رقم (٣٢)، كلاهما من حديث أنس بن مالك _رضي الله عنه_مرفوعا، واللفظ للبخاري.

١٢ – عدم إعطاء العامل حقه من الاحترام والتوقير:

وذلك أن المرء غالبا ما يظل مستمرا في أداء واجبه، والقيام بما تفرضه عليه رسالته ما لم يهن أو يحتقر، فإن حدث، وحرم هذا المرء حقه من الاحترام والتوقير في حدود الضوابط الشرعية، فإنه يرد على ذلك غالبا بالقعود، والتخلي عن أداء الواجب.

ولعل هذا هو سر دعوته -ﷺ- المسلمين أن يراعوا الآداب الاجتماعية فيما بينهم إذ يقول: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَ عَنْ الْمُنْكَرِ»**[١]، وفي رواية: **« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا، أو حَقَّ كَبِيرِنَا »**[٢].

١٣ – تحميل النفس من الواجبات فوق ما تطيق:

وذلك أن أي عمل من الأعمال تكون له في البداية حلاوة، وقد يلقى من العامل إقبالا، واستفراغا لكل ما في وسعه، وما في طاقته، وربما رأى ذلك من يحيطون به، فيلقون ببعض ما في أيديهم من واجبات وتكاليف عليه، ولا يلتفت هو إلى ذلك، ويقبل منهم،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب البر والصلة: ٢٨٤/٤ رقم (١٩٢١)، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب"، وأحمد في المسند ٢٥٧/١، كلاهما من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعا، واللفظ للترمذي.

(٢) هذه الرواية أخرجها الترمذي أيضا في السنن: كتاب البر والصلة: ٢٨٤/٤ رقم (١٩٢٠) من حديث محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله _ﷺ_، وساق الحديث بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: "وحديث محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب حديث حسن صحيح"، وأخرجها أحمد في المسند ٢٠٧/٢ من حديث محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده أن رسول الله _ﷺ_قال: "ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا، ويرحم صغيرنا"، ومعنى قوله _ﷺ_: "ليس منا": ليس من سنتنا، ليس من أدبنا، هذا رأي نفر من العلماء، وقال علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد: كان سفيان الثوري ينكر هذا التفسير - أي الذي قدمنا عن نفر من العلماء - ويقول: ليس منا: ليس من ملتنا، هكذا ذكر التفسيرين الإمام الترمذي في السنن ٢٨٤/٤، والتفسير الجامع بين التفسيرين المذكورين قياسا على ما ذكره ابن حجر في فتح الباري ١٠٤/٩، ١٠٥ في معنى قوله _ﷺ_في حديث الرهط الذين عزموا على التبتُّل، وترك الزواج: (فمن رغب عن سنتي فليس مني) هو أن نقول: إن كان عدم قيامه بحق الكبار، ورحمة الصغير ناشئا من تأويل مع ذهول وعدم انتباه، فالمراد المعنى الأول، وإن كان ناشئا من أعراض وتنطع عن الهدي النبوي بحجة أنه ليس بشيء، فالمراد المعنى الثاني، والله أعلم.

ويمضي، وبعد فترة من الزمان يجد نفسه قد أنهكه العمل وأضناه، فيفتر، وإذا لم يبادر بالعلاج والتخلص من هذه الحال يكون القعود، والانقطاع عن أداء الواجب، وفي آفة "الغلو في الدين أو التنطع" صورة دقيقة لكيفية إيصال هذه الآفة صاحبها إلى القعود والترك.

١٤ - عدم تجاوز الآخرين عن أي هفوة من الهفوات:

وذلك أن المرء بطبيعته مجبول على الخطأ باستثناء الأنبياء والمرسلين لما أكرمهم الله عز وجل به من العصمة، والمحاسبة سبيل من سبل التخلص من هذا الخطأ.

ومن أساليب المحاسبة التجاوز أحيانا عن بعض الهفوات والزلات اليسيرة كيلا يسيطر اليأس والقنوط على النفس، وقد لا ينتبه البعض إلى هذا الأسلوب، ويحمله إتقان العمل وإجادته على المؤاخذة في كل الأمور حتى لو كانت يسيرة بسيطة، وربما لا يتحمل العامل ذلك وتكون العاقبة القعود، والتخلي عن أداء الواجب.

ولعل هذا هو سر دعوة الإسلام إلى العفو مع القدرة على الانتقام والبطش. إذ يقول سبحانه: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[١].

﴿ **خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾[٢].

﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ** ﴾[٣].

(١) سورة آل عمران: الآية (١٣٤).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١٩٩).
(٣) سورة النور: الآية (٢٢).

١٥ - الظن أن في القعود سلامة وعافية:

وذلك أن الشيطان قد يسول لبعض الناس القعود وترك العمل لدين الله بحجة حماية نفسه، وغيره من المحنة، لا سيما في عصرنا هذا الذي تَنَمَّر فيه الباطل، وتفرغ للعاملين لدين الله بحيث لم يعد لديه من شغل شاغل إلا هُم، ناسيا أو متناسيا أن السلامة والعافية منة ومحض فضل من الله سبحانه وتعالى، بيد أن سنته سبحانه وتعالى مضت أن يمنحهما للمتقين العاملين، كما قال سبحانه: ﴿**وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾[١]. ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[٢]. ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٣].

وربما يدخل الشيطان من مدخل آخر: إذ يقول للعامل: إنك تخطئ وترتكب كثيرا من المعاصي والآثام، وهذا يؤخر عون الله، وتأييده عن العاملين، بل ربما يكون سببا في كارثة أو محنة تنزل بالجميع، وخير لك أن تبتعد من طريق هؤلاء البررة الأتقياء من عباد الله لتحل عليهم السلامة، وتصيبهم العافية، ناسيا أو متناسيا أنهم مثله يصيبون ويخطئون، غير أنه وهؤلاء لا يصرون على الخطأ بل يبادرون بالتوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله عز وجل.

---

(١) سورة النور: الآية (٥٥).
(٢) سورة الأنعام: الآية (٨٢).
(٣) سورة الرعد: الآية (٢٨).

١٦ - عدم استجابة الآخرين:

وذلك أن نفرا من الدعاة يتوهم أنه لا ينجح في مهمته إلا إذا استجاب الآخرون، وقبلوا منه ما يقول، فإن لم يستجيبوا لما يقول كان منه القعود، والتخلي عن المضي في الطريق إلى نهايتها ناسيا أو متناسيا أن قلوب العباد جميعا بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، وأن الله قال لنبيه:

﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاء** ﴾[١].

﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ** ﴾[٢].

١٧ - الغفلة عن عاقبة القعود:

وأخيرا قد تكون الغفلة عن الآثار والعواقب المترتبة على القعود - فردية كانت أو جماعية، دنيوية كانت أو أخروية - هي السبب في القعود، وقد رأينا في العصر الحاضر نفرا ممن قعدوا في حال لا يحسدون عليها الآن، وهم يقولون: والله لو درينا أن القعود سيصل بنا إلى هذا المستوى، وإلى هذا الحال ما قعدنا.

---

(١) سورة القصص: الآية (٥٦).
(٢) سورة الشورى: الآية (٤٨).

رابعا: آثار القعود:

هذا وللقعود آثار ضارة، وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، ودونك طرفا من هذه ا لآثار والعواقب:

أ ـ على العاملين:

فمن آثار القعود على العاملين:

١ – تفرد الشياطين بهم ثم افتراسهم:

إذ من قعدوا عن الالتزام بالإسلام بالمرة صاروا موالين للشياطين من الجن والإنس، وأما الذين انفصلوا عن العاملين لدين الله، وعاشوا وحدهم ملتزمين في أنفسهم وأهليهم بمنهج الله، فهؤلاء سمحوا للشياطين أن يتفردوا بهم، ثم يفترسوهم، كما قال النبي-ﷺ-: «**... فمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»[١].

٢ – مضاعفة الذنوب والآثام الأمر الذي ينتهي أن تكون الجحيم هي المأوى:

وذلك أن القاعدين يفتحون بابا واسعا أمام كثيرين من الضعفاء والعامة، ممن يقتدون بهم، فيقعدون قعودهم، وبهذا يحملون وزرين: وزر قعودهم، ووزر إقعاد غيرهم،

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤٠٤/٤ رقم (٢١٦٥) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عمر ـ ﷺ ـ، وأحمد في المسند ٢٦/١ من حديث جابر بن سمرة.

إذ يقول سبحانه: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[١]، ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[٢].

وتتضاعف الذنوب والآثام بدوام القعود حتى تكون الجحيم هي المأوى والعياذ بالله.

٣ – الذل والهوان:

وذلك أنهم حين قعدوا عن نصرة دين الله لم يمنعهم هذا القعود من أن ينزل بهم قدر الله، وقد قدر الله حياة الذل والهوان في الدنيا والآخرة على كل من تولى وأعرض عن ذكره سبحانه وتعالى، فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٣]، ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾[٤].

وقد عشنا وشاهدنا في العصر الحاضر من قعد عن نصرة دين الله بعد أن كان شعلة نشاط، وما كان له من مبرر إلا الإبقاء على النفس، والأهل، والمال، والولد، ومضى قدر الله، ولم يظفر بما أراد، وعاد يندب حظه، ويقول: ﴿ يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٥].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (١٣).
(٢) سورة النحل: الآية (٢٥).
(٣) سورة طه: الآية (١٢٤).
(٤) سورة الجن: الآية (١٧).
(٥) سورة النساء: الآية (٧٣).

ب - على العمل الإسلامي:

ومن آثار القعود على العمل الإسلامي:

١ - إضعاف هذا العمل، وتعريضه للاغتيال أو على الأقل الإجهاض بحيث لا يؤتي ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل.

ذلك أن هذا الصنف من القاعدين لم يقتصر قعوده على نفسه، بل تعداه إلى قعود الآخرين اقتداء، وتأسيا، بل أبعد من ذلك أغلق الباب في وجه من يريدون الالتزام بدين الله والعمل له لأول مرة، إيثارا للسلامة والعافية بزعمهم، ولا شك أن هذا إضعاف للعاملين، وللعمل الإسلامي، ومعروف أن المبطلين لا يتمكنون من العاملين والعمل الإسلامي إلا في مثل هذا الجو من الضعف والتفرق.

٢ - تعريض العاملين لدين الله لشدائد وامتحانات لا تطاق من انتهاك للأعراض، وسلب للأموال، وسفك للدماء، أو على الأقل التضييق والتعذيب، أو النفي والتشريد في الأرض، وكل هذه الجرائم بسبب قعود القاعدين.

وما لقيه أبناء الحركة الإسلامية في مصر من التعذيب في أوائل الخمسينات بسبب انسحاب نفر من العلماء من الصف، ومعهم ما لا يحصى من المتأثرين بهم، والواثقين فيهم -شاهد صدق على ما نقول، ويتحمل هذا النفر إثم ما نزل بهؤلاء إلا أن يعفو الله عنهم، ويتجاوز. وما يلقاه العمل الإسلامي اليوم بعموم من انسحاب نفر من الميدان، وقبوله أن يكون سوطا في يد الباطل يلهب به ظهور العاملين ويحرِّض عليهم، ويخيف الناس منهم - لهو شاهد صدق كذلك على ما نقول.

خامسا: علاج القعود:

وفي ضوء ما قدمنا من أسباب القعود وبواعثه يمكن رسم طريق الخلاص، بل طريق الوقاية من هذا القعود، ودونك معالم هذه الطريق:

١ - **استشعار نعم الله التي أنعم بها علينا في أنفسنا**، وفى الكون المحيط بنا، ظاهرة كانت هذه النعم أو باطنة، حيث يقول سبحانه: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾[١]، ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾[٢].

وأن هذه النعم ينبغي أن تقابل بالشكر كي تدوم، وشكر النعمة إنما يكون بتوظيفها فيما خلقت له، لا باستخدام ها فيما يغضب الله ويسخطه، فإن مثل هذا الاستشعار قد يحرك النفس من داخلها ويحملها على النهوض من جديد.

٢ - **استشعار القاعد مسؤوليته أمام الله يوم القيامة** عما يلقاه المسلمون المضطهدون، الملاحقون في كل مكان: في البوسنة والهرسك، في الجمهوريات الإسلامية في آسيا، في كشمير المسلمة، في بورما، في أريتريا، في الفلبين، في دول البلقان، في إفريقيا، في بلاد العرب، في فلسطين، فيما لا نعلمه بسبب التعتيم الإعلامي المقصود، ويعلمه الله عز وجل.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٣٤).
(٢) سورة لقمان: الآية (٢٠).

وماذا سيكون جوابه لربه غدا يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله، فإن هذا الاستشعار من شأنه أن يخيف صاحب الفطرة السليمة، والعقل الراشد فيجاهد نفسه على التحرر من القعود، ويعمل على النهوض من جديد.

٣ - **التوسط في تعاطي المباحات من غير إفراط أو تفريط،** مع اليقين أن في ذلك عافية لنا في أبداننا، وعقولنا، وأرواحنا، وأن ما نحرم أنفسنا منه اليوم سنلقاه غدا في أكمل وأبهى صورة: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[(١)].

٤ - **إخراج حب الدنيا - بوسيلة أو بأخرى- من القلوب فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة،** وهذا لا يمنع أن تكون هذه الدنيا في أيدينا نتبوأ منها حيث نشاء، شريطة أن تكون من حلال، وأن نؤدي حق الله فيها، بل أن تتنازل عنها جميعا لله إن اقتضت الحال ذلك، كما أثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فإن مثل هذا الصنيع مع الدنيا من شأنه أن يحمل القاعد على النهوض والاستمرار إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

٥ - **دوام النظر في كتاب الله،** وسنة الرسول -ﷺ-للوقوف على أخبار القاعدين، المخلفين، وما صاروا إليه من ذل وهوان في الدنيا والآخرة، فلعل مثل هذا النظر يخوف

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣٢).

القاعد إن كان له قلب، فيبادر بترك القعود، ويحمل نفسه على النهوض حماية لها من أن تصير إلى ما صار إليه هؤلاء القاعدون من قبل، وأن يذيقها الله من الذل والهوان في الدنيا والآخرة مثلما صنع بهؤلاء، وسورة النساء، والتوبة، والأحزاب، والفتح من أوسع سور القرآن حديثا عن هذا الصنف من الناس.

٦ - **تأمل واقع هؤلاء القاعدين اليوم**، وكيف صاروا أسهما في كنانة أعداء الله، ورسوله والمؤمنين، يصوبونه إلى صدور العاملين، فتقوى بهم شوكة هؤلاء الأعداء، حتى إذا استنفذوا بنيتهم منهم، خلعوهم من أقدامهم، وألقوا بهم في مزبلة التاريخ، فخسروا الحياتين جميعا الدنيا والآخرة، وخسارة الآخرة أشد: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾[(١)].

٧ - **مجاهدة النفس من أجل أن تستصحب نية الجهاد والعمل لدين الله عز وجل،** ثم تنفيذ ما تقتضيه هذه النية، ولكن مع الصدق والإخلاص، واتباع السنة، فلعل الله عز وجل بهذه النية يمن على هذا الصنف القاعد من الناس وينتشله من وهدة القعود، إلى قمة النهوض والعمل، إذ يقول سبحانه: ﴿ **وَيَزِيدُ الله الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾[(٢)]،﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الزمر: الآية (١٥).
(٢) سورة مريم: الآية (٧٦).
(٣) سورة محمد: الآية (١٧).

٨ - **الانقطاع عن صحبة القاعدين** إلا بالقدر الذي به يكون العمل على انتشال هؤلاء من قعودهم هذا، مع الارتماء وبسرعة في وسط العاملين، فإن ذلك مما يقوّي العزيمة، ويعلي الهمة، ويثبت النفس، ويحملها على الاقتداء والتأسي، فإن لم يكن فالتشبه والمحاكاة.

٩ - **دوام النظر في وعد الله ورسوله للمؤمنين بالنصر والغلبة والتمكين في الأرض،** وكيف حقَّق ذلك للمؤمنين أول مرة حين نهضوا، وما كانوا يوما من القاعدين، و سيظل هذا الوعد قائما إلى يوم الدين شريطة أن نكون مؤمنين حقا نرفض القعود، والذل، والهوان، ونمضي في الطريق عاملين لا نلوي على شيء إلا على مرضاة الله، ورسوله، فإن مثل هذا النظر مما يحرك النفوس الأبية الكريمة ويحملها على النهوض، وترك القعود.

١٠ - **الانتباه إلى معوقات الطريق من الأزواج،** والأولاد، والأموال، والسلطان، والجاه، ونحوها كي نأخذ لها الأهبة والاستعداد، ونعلم أن هؤلاء لن يغنوا عنا من الله عز وجل شيئا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴾[1]، **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾**[2].

١١- المبادرة بعمل منهاج يستوعب الحياة بأشكالها وصورها، ويكون ملائما لطاقات وإمكانات الناس، ولا سيما هذا الصنف من القاعدين، على أن يكون كتاب الله وسنة رسوله هما الأساس والأصل في وضع مثل هذا المنهاج.

فإن مثل هذا المنهاج من شأنه أن يقضي على كل لحظات الفراغ التي يمكن أن تستغل من قبل شياطين الجن وشياطين الإنس، ويفتح الباب أمام القاعدين للنهوض من جديد.

١٢- مجاهدة النفس على احترام وتوقير الآخرين لا سيما أهل الفضل والدين، بل مجاهدتها على ألا تحمل من التكاليف والواجبات إلا ما تطيق، نظراً لطول الطريق ومشقة التكاليف، فإن هذه المجاهدة من شأنها أن تحرك القاعدين فينهضون من جديد.

١٣- التجاوز وقت المحاسبة عن بعض الهفوات والزلات التي لا يسلم منها بشر، والتي لا تصل إلى حد التطاول على حق الله وحقوق عباده، فإن مثل هذا التجاوز من شأنه أن يقضى على اليأس والقنوط، وأن يفتح باب الأمل والرجاء، فإذا القاعدون نهوض يعملون.

---

(١) سورة التغابن: الآيتان (١٤_١٥).

(٢) سورة المنافقون: الآية (٩).

١٤- استقبال تغيير الموقع - ولا سيما من الأعلى للأدنى، من القيادة إلى الجندية- بفرح وسرور، وراحة بال، وهدوء خاطر، فإنه كلما علت منزلة الإنسان في المسؤولية كان الحساب أشد والمؤاخذة أعظم على حد قوله تعالى: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا** ﴾[١].

١٥- مواجهة وسوسة شياطين الجن والإنس، وإغراء الحياة الدنيا بأن في القعود سلامة وراحة وعافية بأن هذا هو الهلاك بعينه، كما قال سبحانه عن هؤلاء الذين تخلفوا عن تبوك فرارا من التكاليف، وإيثاراً للراحة، والسلامة والعافية: ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[٢]، ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[٣].

ولعل مما يوضح أن القعود هو الهلاك بعينه، هذه الآثار عن أبي عمران -رضي الله عنه- قال:

((كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى أهل الشام رجل يريد فضالة بن عبيد رضي الله عنهما، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، فصففنا لهم،

(١) سورة الأحزاب: الآية (٣٠).
(٢) سورة التوبة: الآية (٤٢).
(٣) سورة التوبة: الآيتان (٨١ _ ٨٢).

فحمل رجل من المسلمين على الروم، حتى دخل فيهم، ثم خرج علينا فصاح الناس إليه، فقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله -ﷺ- فقال: يا أيها الناس، إنكم تؤولون هذه الآية على هذا التأويل، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه، وكثر ناصروه، فقلنا - فيما بيننا بعضنا لبعض سرا من رسول الله -ﷺ-: إن أموالنا قد ضاعت فلو أقمنا فيها، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله عز وجل يرد علينا ما هممنا به، فقال: ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[1]، فكانت التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا نصلحها، فأمرنا بالغزو، فما زال أبو أيوب -رضي الله عنه-غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله عز وجل))[2].

ومن وجه آخر، عن أبي عمران -رضي الله عنه-قال: "غزونا المدينة - يعني القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه، مه[3]، لا إله إلا الله، يلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-: إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾. فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا،

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة البقرة ١٩٦/٥ رقم ٢٩٧٢ وعقب الترمذي على حديثه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح غريبي" من حديث أسلم أبى عمران التجيبي بنحو هذا اللفظ، والنسائي في السنن الكبرى. كتاب التفسير: باب قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} ٢٩٩/٦ رقم ١١٠٢٩ من حديث أسلم أبى عمران. وأورده الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة ٤٧٠/١ نقلا عن البيهقي.

(٣) مه: اسم فعل أمر مبنى على السكون بمعنى: اكف، انظر: المعجم الوسيط ٨٨٩/٢..

ونصلحها، وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية))[1].

ومن وجه ثالث، عن أبي عمران-رضي الله عنه-قال: ((حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- فقال ناس: ألقى يده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام، وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تخفيا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ونصره، حتى فشا الإسلام، وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين، والأموال، والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا، وأولادنا فنقيم فيهم، فنزل فينا: ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة** ﴾، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل، والمال، وترك الجهاد))[2].

١٦- لا ينبغي أن يصرفنا عدم استجابة الآخرين إلى ما ندعوه عن الدعوة إلى الله، بل لابد من الاستمرار مع تخير أحسن الأساليب، ونكل أمر القلوب بعد ذلك إلى الله وهو سبحانه حين يرى منا الصدق والإخلاص، واستفراغ كل الأساليب والوسائل، لن يضيع علينا ثمرة جهدنا وعطائنا، وحسبنا الأجر والمثوبة: ﴿**وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾[3].

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الجهاد: باب في الجرأة والجبن ٢٧/٣ رقم ٢٥١٢ من حديث أسلم أبي عمران التجيبي بهذا اللفظ، وأورده الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة ٤٧٠/١، ٤٧١ نقلا عن البيهقي.
(٢) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة ٤٧١/١ نقلا عن ابن كثير في: تفسير القرآن العظيم.
(٣) سورة القصص: الآية (٨٠).

الغرور

الغـــــرور

والآفة الرابعة التي يبتلى بها بعض العاملين، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التحرر منها، وعدم الوقوع فيها مرة أخرى إنما هي: الغرور، ولكي يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد، محدد الملامح و المعالم سنجعله يدور على النحو التالي:

أولاً: معنى الغرور:

لغة: يطلق الغرور في اللغة على عدة معان أهمها:

أ- الخداع سواء أكان للنفس أو للغير، أو للنفس وللغير معاً، تقول: غرّه، يغرّه، غروراً أي خدعه، وغرّ نفسه يغرها غروراً تعني خدعها .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾[(١)].

ب- ما يؤدي إلى الغرور، وما يوقع فيه، قال الجوهري، و الغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا .

ومنه قوله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ** ﴾[(٢)].

اصطلاحاً: أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن الغرور: هو إعجاب العامل بنفسه إعجاباً يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بجنب ما يصدر عنه، ولكن دون النيل من ذواتهم أو الترفع على أشخاصهم .

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٠)و سورة الإسراء: الآية (٦٤).
(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٤).

ولا شك أن من كان بهذه المثابة فهو مخدوع، وتبعاً لذلك فإننا يمكن أن نفهم مدى التلاقي بين المعنى الاصطلاحي و المعنى اللغوي .

ثانياً: أسباب الغرور

ولما كان الغرور شدة الإعجاب بالنفس، فإن أسبابه التي تؤدي إليه وبواعثه التي توقع فيه هي في جملتها أسباب الإعجاب بالنفس ويزاد عليها:

(١) إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة:

إذ قد يكون السبب في الغرور إنما هو إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة ذلك أن بعض العاملين قد يبتلى بالإعجاب بالنفس ولإهماله نفسه من التفتيش والمحاسبة يتمكن الداء منه ويتحول إلى احتقار أو استصغار ما يقع من الآخرين بالإضافة إلى ما يقع منه وبذلك يصير مغرورا ولعل هذا هو السر في وصية الإسلام بالتفتيش في النفس ومحاسبتها أولا بأول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾(١).

(٢) الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين:

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين:

ذلك أن بعض العاملين قـــد يصاب بآفة الإعجاب بالنفس ويكون من ضعف

(١) سورة الحشر: الآية (١٨).

الإرادة وخور العزيمة وفتور الهمة بحيث لا يستطيع التطهر بذاته من هذه الآفة وإنما لابد له من متابعة الآخرين ووقوفهم بجواره وأخذهم بيده وقد لا يلتفت الآخرون إلى ذلك فيقعدون عن أداء دورهم وواجبهم وحينئذ تتمكن هذه الآفة من النفس وتتحول بمرور الزمن إلى غرور والعياذ بالله.

ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على النصيحة حتى جعل الدين كله منحصرا فيها وراجعا إليها: إذ يقول الرسول -ﷺ- « **الدين النصيحة**»قلنا: لمن؟ قال: « **الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسمين وعامتهم** » [1]، ولعله السر أيضا في دعوته إلى التضامن والتعاون بين المسلمين:إذ يقول الله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾[2]، ويقول النبي -ﷺ-: «**المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه** ».

(٣) الغلو أو التشدد في الدين:

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الغلو أو التشدد في الدين ذلك أن بعض العاملين قد يقبل على منهج الله في غلو وتشدد وبعد فترة من الزمان ينظر حوله فيرى غيره من العاملين يسلكون المنهج الوسط فيظن لغفلته أو عدم إدراكه طبيعة هذا الدين أن ذلك منهم تفريط أو تضييع ويتمادى به هذا الظن إلى حد الاحتقار والاستصغار لكل ما يصدر عنهم بالإضافة إلى ما يقع منه وذلك هو الغرور.

---

(١)الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان، ١/٧٤-٧٥ رقم ٥٥، وأبو داود في السنن، كتاب: الأدب، ٤/٢٨٦ رقم ٤٩٤٤ من حديث تميم الداري -رضي الله عنه- مرفوعاً واللفظ لمسلم .

(٢) سورة المائدة: الآية (٢).

ولعل ذلك هو بعض السر في دعوة الإسلام إلى الوسطية بل وتحذيره من الغلو أو التشدد في الدين:

إذ يقول الرسول -ﷺ- للرهط الذين عزموا على التبتل واعتزال الحياة: «**أنتم قلتم كذا وكذا: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١]، ويقول: «**هلك المتنطعون**»[٢] قالها ثلاثا يعني: المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم: «**إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين**»،«**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا...** »[٣].

(٤) التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل:

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل:ذلك أن بعض العاملين قد يكون كل همه التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهماله العمل وربما لاحظ أثناء طرح هذه المسائل غفلة بعض العاملين عنها وعدم إلمامهم بها إما لأنها ثانوية لا يضر الجهل بها وإما لأنه لا يترتب عليها عمل فيخطر بباله أن هؤلاء لا يتقنون من مسائل العلم شيئا وإن أتقنوا فإنما هو قليل في جانب ما لديه من الغرائب والشواذ وما يزال هذا الخاطر يتردد في نفسه ويلح عليه حتى يتحول إلى احتقار واستصغار ما لدى الآخرين بالإضافة إلى ما عنده وذلك هو داء الغرور.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، ٢/٧، ومسلم في الصحيح، كتاب النكاح ٥٨٤/١، و النسائي في السنن كتاب النكاح ٤٩/٦-٥٠، وأحمد في المسند ٢٤١/٣، ٢٥٩، ٢٨٥ كلهم من حديث أنس بن مالك -ﷺ- مرفوعاً واللفظ للبخاري .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب العلم، ٢٠٥٥/٤ رقم٢٦٧٠ من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، ١٦/١ من حديث أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه- مرفوعاً به .

ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى أن يكون السعي في طلب العلم دائما حول النافع والمفيد إذ كان من دعائه -ﷺ-: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها**»(١) بل وفي تأكيده على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل وإلا كان الهلاك والبوار إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾(٢).

﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(٣).

وإذ يقول النبي الكريم -ﷺ-:«**يجئ بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(٤).

(٥) الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات:

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات ذلك أننا جميعا بشر وشأن البشر سوى النبيين الصواب والخطأ وإذا غفل العامل عن ذلك فإنه كثيرا ما يقف عند الطاعة أو الصواب في الوقت الذي ينسى فيه المعصية أو

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار، ٢٠٨٨/٤ من حديث زيد بن أرقم - رضى الله تعالى عنه- مرفوعاً به، بيد أنه زاد قبله :(اللهم إني أعوذ بك من العجز و الكسل و الجبن و البخل، و الهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)

(٢) سورة الصف: الآيتان (٢-٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق، ١٤٧/٤، ومسلم في الصحيح، كتاب: الزهد و الرقائق، ٢٢٩٠/٤-٢٢٩١ رقم ٢٩٨٩ من حديث أسامة بن زيد - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به واللفظ للبخاري .

الخطأ وتكون العاقبة الإعجاب بالنفس المقرون باحتقار ما يقع فيه الآخرون إلى جانب ما يصدر عنه وهذا هو الغرور .

ولقد لفت المولى سبحانه وتعالى النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث وهو يمدح صنفا من المؤمنين يؤدي الطاعة ويخاف أن يكون قد وقع منه ما يحول بينه وبين قبولها فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾[١].

تقول عائشة رضى الله تعالى عنها قلت يا رسول الله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾[٢]. هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: «**لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل** »[٣].

كما لفت النبي -ﷺ- النظر إلى ذلك حين دعا إلى أن يكون التعويل بعد الفراغ من العمل على فضل الله ورحمته لا على العمل نفسه وإلا كان الغرور والضياع فقال: « **لن ينجي أحدا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد تبلغوا** »[٤] ، وقد عبر عن

(١) سورة المؤمنون: الآيات (٥٧-٦١).

(٢) سورة المؤمنون: الآية (٦٠).

(٣) الحديث أخرجه الترمذى في السنن، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المؤمنون ٣٢٧/٥-٣٢٨ رقم ٣١٧٥ من حديث عائشة - رضى الله تعالى عنها - مرفوعاً به، وعقب عليه بقوله :(وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد، عن أبى حازم، عن أبى هريرة عن النبي -ﷺ- نحو هذا .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، ١٢٢/٨، ١٢٣ ومسلم في الصحيح كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٢١٦٩/٤ رقم ٧١-٧٨ من حديث أبى هريرة وعائشة -رضي الله عنهما- مرفوعاً به وبنحوه واللفظ للبخاري.

ذلك كله بوضوح سيدنا عبد الله بن مسعود حين بين أثر تذكر الذنب ونسيانه على سلوك الإنسان فقال: «**إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي نحاه بيده ودفعه عنه**»(١).

(٦) الركون إلى الدنيا:

وقد يكون السبب في الغرور هو الركون إلى الدنيا: ذلك أن بعض العاملين قد يفطن إلى أنه مبتلى بآفة الإعجاب بالنفس بيد أنه لركونه إلى الدنيا وانغماسه فيها ربما يعتريه الكسل فلا يستطيع أن يجمع همته لمداواة نفسه بل قد يأخذ في التسويف وتأخير التوبة وبمرور الزمن يتحول الإعجاب بالنفس إلى داء أكبر وأبعد ألا وهو الغرور

وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال ذم الدنيا والتحذير منها إذا اتخذها الناس هدفا أو غاية فقال: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا** ﴾(٢)، ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** ﴾(٣). ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(٤).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الدعوات، باب التوبة ٨٣/٨-٨٤ من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه - موقوفاً عليه، وادعى بعضهم أنه مرفوع، وهو وهم، انظر فتح الباري ١٠٥/١١

(٢) سورة الحديد: الآية (٢٠).

(٣) سورة الكهف: الآية (٤٥).

(٤) سورة يونس: الآيتان (٧-٨).

وقال: رسول الله -ﷺ- «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**»(١)، وقلما كان -ﷺ- يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:

« **اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما يَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَ مَعاصِيكَ، وَمِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِين ما تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنا مَصَائبَ الدُّنْيا؛ ومَتِّعْنا بأَسْماعنا وأَبْصَارِنا وَقُوَّتِنا ما أَحْيَيْتَنا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثأْرنا على مَنْ ظَلَمَنا، وانْصُرْنا على مَنْ عادَانا وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنا في دِينِنا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنا وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنا، وَلا تُسَلِّط عَلَيْنا مَنْ لا يَرْحَمُنا** »(٢) .

ولقد وعى سلف الأمة ما يجره الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها على المرء من وبال فأعرضوا عنها إلا بمقدار ما يتزودون منه للآخرة وجرى ذلك كثيرا على ألسنتهم يقول علي رضى الله تعالى عنه:-

(ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل)(٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٤١/٤-٤٢، كتاب الرقائق: باب ما يتقى من فتنة المال ١١٤/٨-١١٥ وابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب في المكثرين ١٣٨٥/٢-١٣٨٦ رقم ٤١٣٥-٤١٣٦ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً به .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى في السنن، كتاب الدعوات، باب منه ٥٢٨/٥ رقم ٣٥٠٢ من حديث ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به وعقب عليه بقوله :(هذا حديث حسن غريب)

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق: باب في الأمل وطوله ١١٠/٨ من حديث عليّ - موقوفاً عليه به .

ويقول الحسن رحمه الله:-

(من نافسك في دينك فنافسه فيه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره)[1].

ويصور بعضهم هذا الوعي وذلك الإحساس قائلا:

إن لله عبادا فطنا — طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا — أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا — صالح الأعمال منها سفنا [2]

٧- رؤية بعض ذوي الأسوة والقدوة على حال دون الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها:-

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي رؤية بعض ذوي الأسوة والقدوة على حال دون الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها .

ذلك أن بعض ذوي الأسوة والقدوة قد ينزلون لسبب أو لآخر عن الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها من أخذ أنفسهم بالعزيمة في غالب الأحيان إلى حال أقل منها من أخذ أنفسهم بالرخص في بعض الأوقات .

وربما رأى ذلك من يحاول الإقتداء والتأسي بهم ولقلة رصيده من الفقه أو لعدم اكتمال تربيته يتوهم أو يظن أنهم بذلك دونه في العمل بمراحل ويظل هذا الوهم أو هذا الظن يلاحقه ويلح عليه حتى يتحول والعياذ بالله إلى الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

(١) انظر إحياء علوم الدين ٢٠٧/٣.
(٢) الأبيات أوردها الإمام النووي في مقدمته لكتاب رياض الصالحين ص ٢ دون أن يعزوها لأحد.

ولعل ذلك هو بعض السر في دعوة الإسلام إلى البعد عن مواطن التهم من خلال بيان وجه حق في سائر التصرفات المباحة التي ربما تؤدي إلى سوء الظن:

عن صفية بنت حيى زوج النبي -ﷺ- ورضى الله عنها أنها جاءت رسول الله -ﷺ- تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي -ﷺ- يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله -ﷺ- فقال لهم النبي -ﷺ- **«على رسلكما: إنما هي صفية بنت حيي»**، فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما فقال النبي -ﷺ- **«إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا »**[١].

وصلى يزيد الأسود مع النبي -ﷺ- وهو غلام شاب فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد فدعا بهما فجيء بهما ترعد فرائصهما فقال: **«ما منعكما أن تصليا معنا؟ »** قالا: قد صلينا في رحالنا فقال: **«لا تفعلوا إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام ولم يصل فليصل معه فإنها له نافلة »**[٢].

ولذا قال ابن دقيق العيد: (وهذا أي التحرز من كل ما يوقع في التهم متأكد في حق العلماء ومن يقتدي بهم فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم وقد قالوا: أنه ينبغي للحاكم أن يبين

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتكاف،٣/٦٤-٦٥ ومسلم في الصحيح، كتاب السلام: ٤/١٧١٢-١٧١٣ رقم ٢٣ ،٢٤ ،٢٥ من حديث صفية - رضى الله تعالى عنها - مرفوعاً به

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة ١/١٣٦ و الترمذى في السنن، كتاب الصلاة١/٤٢٤-٤٢٦ رقم ٢١٩، وقال عقبة: حديث يزيد بن الأسود حديث حسن صحيح، و النسائي في السنن: كتاب الإمامة ٢/٨٧ من حديث يزيد بن الأسود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

وجه الحق للمحكوم عليه إذا خفي عليه وهو من باب نفي التهمة بالنسبة إلى الجور في الحكم).

٨- مبالغة بعض العاملين في إخفاء ما يصدر عنهم من أعمال:

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي مبالغة بعض العاملين في إخفاء ما يصدر عنهم من أعمال: ذلك أن بعض العاملين قد يحمله الحرص على تحقيق معنى الإخلاص إلى أن يبالغ في إخفاء ما يصدر عنه من عمل فلا يظهر منه إلا أقل القليل وربما لا حظ أو رأى بعض من لم تتضح تربيتهم بعد هذا الذي يظهر فقط فيتوهم أن عمل هؤلاء قليل في جنب عمله ويظل هذا الوهم يساوره ويلح عليه حتى يقع في أحبولة الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولعل دعوة الإسلام إلى إبراز الأعمال الطيبة والتعرض بها للناس فوق كونها تحريضا لهم على الإقتداء والتأسي فيها إشارة إلى هذه السبب أو إلى هذا الباعث مع بيان طريق الخلاص منه: إذ يقول الله تعالى: ﴿ **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ... ﴾**[1].

وإذا يقول النبي -ﷺ-: «**صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة**».

«**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ** .... الحديث »[2].

(١) سورة البقرة: الآية (٢٧١).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ٢/٧٠٤-٧٠٦ رقم ١٠١٧ من حديث جرير بن عبد الله البجلى مرفوعاً به وبنحوه .

٩- تفرقة بعض ذوي الأسوة والقدوة في معاملة المتأسين أو المقتدين:

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي: تفرقة بعض ذوي الأسوة والقدوة في معاملة المتأسين أو المقتدين:

ذلك أن بعض ذوي الأسوة والقدوة قد تغيب عن بالهم الأسلوب الأمثل في معاملة المتأسين أو المقتدين فتراهم يقربون البعض ويفسحون صدورهم له ويتغاضون عن هفواته وأخطائه في الوقت الذي يعرضون فيه عن البعض الآخر ويضيقون به ذرعا ويفتحون عيونهم على أدنى الهفوات والزلات التي تقع منه وربما كان في الصنف الأول من لم تكتمل تربيتهم ولم تنضج شخصياتهم بعد ويشاهد هذه الفرقة في المعاملة فيخطر بباله أنها نابعة مما لديه من إمكانيات ومواهب لا توجد عند الآخرين ويظل هذا الخاطر يلح عليه حتى يكون الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولقد سد النبي -ﷺ- هذا الباب من خلال حرصه على معاملة أصحابه بالسوية إذ كان من هديه صلى الله عله وسلم كما يقول واصفوه:

(أن يعطي كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه)[1].

ويوم أن كانت الحاجة تلجئه -ﷺ- إلى التفرقة في المعاملة ولا يفهم جليسه الحكمة من وراء ذلك يبين صراحة إذ يروي سعد بن أبى وقاص فيقول:

(١) الحديث جزء من حديث مطول أخرجه الترمذى في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في خلق الرسول _ﷺ_ -١٨-٢٣ من حديث سفيان بن وكيع عن جميع بن عمير بن عبد الرحمن، عن رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة، عن ابن أبى هالة عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه به، وإسناده ضعيف لضعف سفيان وجميع وجهالة الرجل الذي من بنى تميم، إلا أن له شواهد أخرى تجبر هذا الضعف وترفعه إلى درجة المقبول .

(أعطى رسول الله -ﷺ- رهطا وأنا جالس فترك رجلا هو أعجبهم إلي فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « **أو مسلما**»فسكتّ قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا وعاد -ﷺ- ثم قال: «**يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار** »[1].



(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان: باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/١٣-١٤ من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه مرفوعاً به .